الجمهوريّة الجزائريّة الديمقراطيّة الشعبيّة

République algérienne démocratique et populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

Ministre De L'Enseignement supérieure et de la recherche Scientifique

جامعة 8 ماي 1945 – قالمة
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

الرقم : .....

Université 8 mai 1945 - Guelma
Faculté des lettres et des langues
Département de Langue et de Lettre Arabe

N° : ……..

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة الماستر

(تخصص أدب جزائري)

الأمثال الشعبية في منطقة قالمة

- دراسة أنثروبولوجية -

إعداد الطالبتين :

عفايفية سهاد

لعقاقنة أسماء

إشراف الأستاذ :

يزيد مغمولي

تاريخ المناقشة : ...../ ...../ 2021

لجنة المناقشة

الاسم اللقب	الرتبة	الصّفة	الجامعة
فوزية براهيمي	أستاذ محاضر (ب)	رئيسا	جامعة 8 ماي 1945 - قالمة
يزيد مغمولي	أستاذ مساعد (أ)	مشرفا ومقررا	جامعة 8 ماي 1945 - قالمة
راوية شاوي	أستاذ محاضر (ب)	ممتحنا	جامعة 8 ماي 1945 - قالمة

السنة الدراسية: 2020-2021

المقدمة

مقدمة

تعتبر الأمثال الشعبية نتاج تجربة طويلة، فهي جزء من ملامح الشعب وأسلوب عيشه ومعتقداته ومعاييره الأخلاقية فهي قريحة العقل الفردي والجمعي، من أكثر الفنون المتداولة على ألسنة الناس وقد عبروا بها عن انشغالاتهم وظروفهم وأحوالهم، بل يهتدون بها إلى الخلاصات والتجارب وبالتالي تلخص تجربة إنسانية متوازنة عبر العصور.

الأمثال الشعبية فضاء واسع تتعدد حولها مختلف الدراسات فاخترنا من هذا العلم الشاسع تقديم دراسة أنثروبولوجية للأمثال الشعبية القالمية، فكان موضوعنا هذا الموسوم الأمثال الشعبية دراسة أنثروبولوجية —منطقة قالمة–أنموذجا.

فقد كانت هذه الأمثال بوابة للغوص في عوالم إبداع الجماعات الشعبية.

ونحن في بحثنا هذا حاولنا الإجابة عن جملة من التساؤلات التي تشكل في جوهرها المحطات الأساسية في إشكالية بحثنا والتي تكمن في الأسئلة التالية:

كيف تجلت الأنثروبولوجيا في الامثال الشعبية؟ كيف عبرت الامثال الشعبية على الجماعات الشعبية؟

ولقد حملنا على اختيار هذا الموضوع جملة من الأسباب والدوافع جعلتنا نختار الأمثال الشعبية، دون غيرها من المواضيع وأيضا اختيار الدراسة الأنثروبولوجية دون غيرها من الدراسات.

فمن هذه الدوافع إحياء التراث الشعبي بالإضافة الى احياء الامثال الشعبية في هذه المنطقة.

ومن الدوافع الموضوعية تلك قيمة البالغة للتراث الشعبي وتحديدا بمنطقة قالمة لتوفرها على الكثير من الأمثال الشعبية في شتى مجالات الحياة الثقافية منها والاجتماعية.

ومن بين أهداف هذا البحث هو محاولة تقديم دراسات أنثروبولوجية للأمثال الشعبية القالمية.

وإذا كان المنهج مرشد البحث العلمي فقد اعتمدنا في بحثنا على المنهج الأنثروبولوجي الذي يتيح للباحث مجالا واسعا للتحليل والتفسير.

وللوصول إلى هذه الأهداف اعتمدنا خطة مكونة من مدخل وفصلين (نظري وتطبيقي) وخاتمة.

حيث تحدثنا في المدخل عن التراث الشعبي والادب الشعبي الذي هو عبارة عن سلوك إنساني والقيمة الاجتماعية للأدب الشعبي.

أما الفصل الأول بعنوان (المثل والأنثروبولوجيا) خصص قسم منه للمثل (مفهوم والمصطلح) وقسم ثاني للأنثروبولوجيا (العلم والعلم والحضارة).

أما الفصل الثاني فكان للدراسة التطبيقية والمعنون بالأمثال الشعبية دراسة أنثروبولوجية – منطقة قالمة أنموذجا –وقد جعلنا هذا الفصل في عناصر متعددة تخدم جوهر موضوعنا وما يتعلق بالأنثروبولوجيا المتواجدة في الأمثال الشعبية القالمية.

وختم البحث بجملة من النتائج المتوصل اليها إضافة إلى ملحق أدرجنا فيه مدونة (مجموع الأمثال) التي تطرقنا اليها بالإضافة إلى تقديم لمحة عن منطقة قالمة تحت منطقة قالمة التاريخ والحضارة مع رسم تخطيطي لخريطة الولاية –قالمة–.

وقد كانت لنا نظرة في جملة من المصادر والمراجع التي شكلت زاد بحثنا ومركزه العلمي منها:

- مدخل الى علم الانثروبولوجيا
- نبيلة ابراهيم، اشكال التعبير في الادب الشعبي،

وكأي بحث أكاديمي تعرضنا لمجموعة من الصعوبات والعراقيل من بينها: قلة الدراسات التطبيقية حول المنهج الأنثروبولوجي ورفض بعض من الناس حتى التكلم معنا، غلق مختلف المكتبات بسبب جائحة كورونا وقلة المراجع في هذه الدراسة.

ولا يفوتنا أن أتوجه بالشكر الجزيل للأساتذة الأجلاء الذين أتعبوا أنفسهم في قراءة هذا البحث وإرشادنا إلى ما اعوج، كما نشكر قسم اللغة والأدب العربي.

أما أستاذنا المشرف فإنه يصعب علينا أن نجد الكلمات التي تفي بحقه في التعبير له عن خالص شكرنا وعظيم احترامنا لجهوده معنا من أجل الوصول إلى انهاء هذه المذكرة، نظرا للظروف التي أحاطت بنا في مراحل إعدادها، لذلك نجدد الشكر والاحترام للأستاذ يزيد مغمولي على قبول الإشراف والمتابعة راجين من المولى السداد والتوفيق.

مـدخـل

التراث والأدب الشعبي

التراث والأدب الشعبي

أولا = التراث الشعبي صورة للسلوك الإنساني

تعتبر الموروثات الشعبية مستودع ذاكرة الشعوب التي حفظت لها عاداتها وتقاليدها. فالتراث مادة حية، صادرة عن الشعب، يعبر من خلالها عن مشاعره وآلامه وآماله، وبشكل عفوي. فهو ليس محصلة عصر واحد أو مجرد مخلفات متحجرة نتجت عن الماضي؛ إنما هو التاريخ الحقيقي الذي يصور لنا الحياة الانسانية، «وعلى ذلك فالتراث العربي هو المخزون الثقافي والمتوارث من قبل الأجداد، والمشتمل على القيم الدينية، والتاريخية، والحضارية، والشعبية؛ بما فيها من عادات وتقاليد، سواء كانت هذه القيم مدونة في التراث، أو مبثوثة بين سطورها، أو متوارثة، أو مكتسبة بمرور الزمن. وبعبارات أكثر وضوحا إنّ التراث هو روح الماضي، وروح الحاضر، وروح المستقبل بالنسبة للإنسان، يحيا وتموت شخصيته وهويته إذا ابتعد عنه، سواء في أقواله أو أفعاله»[1].

فالتراث لبنة أساسية في بناء الأمم والحضارات، ورافدٌ من أهم روافد ثقافة الشعوب، فهو ذلك المخزون الثقافي الذي خلقه السلف للأجيال القادمة فهو بقايا ثقافة الماضي التي نحفر فيها إلى يومنا هذا، «إذ التراث هو الذاكرة الممتدة حتى الحاضر والمنتج الثقافي الذي تنجزه اليوم سيكون للأجيال القادمة تراثا وذاكرة»[2]، وفي قول آخر «التراث هو كل ما خلفه السلف للخلف سواء ماديا أو معنويا.

1 – سيد علي اسماعيل، أثر التراث في المسرح المعاصر، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، دط، دار المرجاج، القاهرة، 2007، ص 38.

2 – جمال محمد النواصرة، المسرح العربي بين مناهج التراث والقضايا المعاصرة، دار الخامد للنشر والتوزيع، ط1، عمان الاردن، 2014، ص 18.

وبعبارة أخرى: هو كل ما ورثته الأمة وتركته من إنتاج حضاري أو فكري أو فيما يتعلق بالإنتاج العلمي والأدبي، والصور الحضارية التي ترسم واقع الأمة ومستقبلها وهذا يعود إلى بدء المعرفة الانسانية للكتابة وبأشكالها واساليب التعبير بأنواعها سواء في المخلفات الاثرية ام فيما سجل في اوراق الكتابة»[1]. والادب الشعبي جزء هام من تراث الامم وذاكرتها فهو يعد فضاء مفتوحا على الثقافة الشعبية كونه يغوص في اعماق التراث وذلك من خلال التعرض إلى العادات والتقاليد واخلاق الشعب.

ثانيا = القيمة الاجتماعية للأدب الشعبي

الأدب الشعبي مصطلح مركب من شقين هما: أدب وشعب، فكلمة الأدب هي كلمة ذات آفاق واسعة، فهو: «ذلك الكلام الفني الجمالي رفيع المستوى من شعر او نثر صادر عن اديب، كاتب او شاعر وخاضع لمنطق لغوي فني معني»[(2)]. وأما الكلمة الثانية فقد جاءت لتحصر الكلمة الاولى وتخرجها من دائرة العموم والشمول، فلفظة "شعبي" منسوبة إلى الشعب، وتحيل إلى مفهومين مختلفين هما:

أ) –الجمهور أو عدد وافر من الناس يخضعون إلى القوانين نفسها، أو بالتعميم مجموعة الناس يشتركون في علامة متماثلة: الدين، الدولة، الأصل، الأرض.

ب) – فريق من الأمة المعتبرة على نقيض من الطبقات الاخرى حيث يتوفر اما بالزيادة في الثروة واما الزيادة في المعرفة[(3)].

1 – إدريس قرقورة، التراث في المسرح الجزائري، دراسة في الأشكال والمضامين، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، ج1، ط1، الجزائر، 2009، ص28.

2 – محمد سعيدي، الادب الشعبي بين النظرية والتطبيق، سلسلة دروس جامعية ديوان المطبوعات الجزائرية، 1998، ص9.

3 – المرجع نفسه، ص 09.

نلاحظ أن هناك من الباحثين من حصر مفهوم الشعب حسب الرقعة الجغرافية التي ينتمي إليها، أي: أبناء البلد الواحد، إذ يشمل الشعب كله بغض النظر عن مستوياته الثقافية والاجتماعية. وهناك من حصر الجماعة الشعبية في الاهتمامات النفسية المشتركة.

كما نجد الدكتورة نبيلة إبراهيم في كتابها "أشكال التعبير في الادب الشعبي" تقول: «وهذا الفرد الخلاّق لا يعيش حياة ذاتية بعيدة عن المجموع، وإنّما يعيش حياة شعبية صرفا. وهو بما له من نشاط إبداعي خلاّق يخلق الكلمة المعبّرة التي سرعان ما تلقى هوى بين أفراد الشعب جميعه، إذ تكمن فيها روحها وتجاربه ومشكلاته»[1].

فالأدب الشعبي في الحقيقة هو نتاج فرد أو أفراد يشكلون شعبا أو أمة؛ لأنه من غير الممكن أن تجتمع الأمة كلها لكي تؤلف حكاية، أو تصوغ مثلا، فهو مرآة عاكسة لحياة الشعوب بكل طبقاتها وفئاتها، فهذا الاخير متعدد ومتنوع من حيث اشكاله الأدبية والتعبيرية الشعبية كالقصة والنكتة واللغز والاحاجي والحكايات والاساطير والأمثال الشعبية.

والتعرض لاحد اشكال التعبير والخطاب الشفهي يقودنا إلى استكشاف الظاهر والدلالات الثقافية والاجتماعية للمجتمع تناقضاته وتعقيداته، فالأدب الشعبي هو الذاكرة الحية والمتحركة للشعب لأنه يتلقى المخلفات الثقافية شفاهيا ويتداولها جيلا بعد جيل ليحفظها في الذاكرة الجماعية، وهذا السبب هو الذي صنع لها خلودها ما بين فئات المجتمع فهو يعكس فلسفة وواقع المجتمع وثقافته الاصلية، باختلاف مستوياته الثقافية والدينية والاجتماعية وغيرها.

1 – نبيلة ابراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، دار النهضة للطباعة والنشر، القاهرة، دت، ص5.

وتعد الأمثال الشعبية أحد اشكال الادب الشعبي المتميز عن باقي اشكال الادب الشعبية الاخرى، فهي تعكس فلسفة وحكمة الشعب النابعة من الواقع الاجتماعي، فالأمثال الشعبية تحمل في طياتها دلالات ثقافية واجتماعية عن مظاهر الحياة العادية السائدة في المجتمع.

إنها أقوال متبلورة في العقول، فتدفقت بصفاء الفكر، فاهتز لها القلب ليترجمها عنه اللسان بإيجاز في اللفظ وكثافة في المعنى، وقوة في اللغة، وفصاحة في البيان، وبلاغة في التصوير لها التأثير البليغ في النفوس، والموقع الحسن في الاستماع.

فالمثل الشعبي جزء لا يتجزأ من التراث الشعبي الذي يتداوله المجتمع جيلا بعد جيل، فهي محور اهتمام الأنثروبولوجيا لأنها تعكس قيم واتجاهات الشعوب كذلك مشاعرها وعاداتها وتقاليدها، فهي بذلك تأتي في مقدمة أشكال التعبير الأدبي لما لها من قدرة على تصوير الحياة الاجتماعية وما يدور فيها من احداث وغيرها.

ثالثا = منطقة قالمة التاريخ والحضارة

1 –أصل التسمية

يطلق عليها قديما اسم كالاما (KALAMA)، وهناك من يقول إن أصل كلمة قالمة من (لقى– الماء)، رغم أنّ منطقة قالمة –من القدم وحتى اليوم–تنتشر بها الينابيع. وجاء في كتاب "فتوح افريقية" وفي كتاب "نزهة المشتاق في اختراق الافاق" أنّ قالمة اسم قبيلة أمازيغية كانت تقطن بهذه الجهة، ويقولون بأن هذا التفسير أقرب إلى الحقيقة؛ حيث أن أغلب المدن والجبال بالجزائر تحمل اسم القبائل البربرية. وتتواصل

الروايات حول معنى اسم قالمة فقد تكون التسمية قد انتقلت من (مَلَكَا) إلى (كَالَمَا)، أو أنّها فتحت على يد شخص اسمه محمد القالمي[1].

2 – قالمة جغرافيا وتاريخيا

تقع منطقة قالمة جغرافيا في الركن الشمالي الشرقي من الوطن، من شمالها خط عرض 37° ومن شرقها خط طول 5°، وتشكل نقطة التقاء بين ولايتي (أم البواقي) و(تبسة) من الجنوب والجنوب الشرقي، وتمتد من حدود قسنطينة غربا إلى حدود سكيكدة شرقا[2].

ولقد بقيت منطقة قالمة على الامتداد الطبيعي والإداري نفسه، من بداية ارتقائها إلى دائرة عام 1958م، في الفترة الاستعمارية إلى غاية استرجاع السيادة الوطنية عام 1962م[3].

تتميز منطقة قالمة بتضاريس مختلفة وغطاء نباتي معتبر، وتجري بها مجاري مائية هامة هي: وادي سيبوس، وادي الشارف، وادي بوهمدان، وواد مجردة، ووادي بوناموسة، ووادي الكبير، وبعد ارتقاء سوق هراس إلى ولاية سنة 1984م، أصبحت الأودية الأخيرة الثلاثة تابعة لها، كما تحيط بها سلاسل جبلية هامة ففي شرقها تمتد (جبال بني صالح) الشهيرة، والتي تبلغ قمتها 1406م، وفي الغرب تمتد (جبال طاية) 1208م و(جبال دباغ) 1049م، كما تشكل السهول مساحة 9% من المساحة العامة المقدرة ب 8.626،55كلم^2.

1 – مدينة قالمة، خريطة قالمة وسكانها ومعالمها، ويكي ويك .wiki/wic

2 - D.P.A.T de Guelma, Monographie de la wilaya de guelma p19.

3 - Archives Départementales de Constantine.natices concernant les communes du département de Constantin,1927.

يسود الولاية مناخ معتدل شبه رطب في الوسط الشمالي، وشبه جاف في الجنوب، ممطر في الشتاء، وحار وجاف في الصيف. ويشمل الغطاء النباتي غابات الفليبين والزان والبلوط بجبال بني صالح هوارة، ماونة، طاية، أشجار الصنوبر الجبلي، وتغطي الأحراش مساحة واسعة من المرتفعات[1].

وهي مدينة تاريخية استقر فيها الإنسان منذ القدم، ويدل على ذلك أدوات وكتابات أثرية عثر عليها علماء الأثار خلال الحفريات. وسكن قالمة العديد من الحضارات مثل الحضارة الفينيقية، ومملكة ماسي، والرومانية كالمسرح الروماني الموجود وسط المدينة، إضافة إلى مواقع تاريخية، وأماكن شاهدة على معارك وبطولات جيش التحرير الوطني، من بينها مجازر 8 ماي 1945 حيث لم يتوانى سكان مدينة قالمة في الدفاع عن مدينتهم بكل ما أوتوا من قوة ضد الاحتلال الفرنسي وكانت من الولايات التي تعرضت لأبشع جرائم الاستعمار الفرنسي من القمع والتقتيل الجماعي، كما تميزت هذه الولاية بدورها الكبير في اندلاع الثورة التحريرية المجيدة.

3 – البنية الاجتماعية لمنطقة قالمة

يبلغ عدد سكان ولاية قالمة حسب آخر إحصاء لعدد السكان سنة 2015 بـ 355555 نسبة، ويتميز هؤلاء السكان بازدواجية في اللسان، حيث ينحدر سكان هذه الولاية من أصول أمازيغية (شاوية، قبايلية).

تعتبر ولاية قالمة ذات طابع صناعي فلاحي رعوي بامتياز وكذلك غابي ذلك لما تتمتع به هذه المنطقة من مساحات غابية هامة الذي يجعل لها موقعا استراتيجيا واقتصاديا وغيره، كما تتميز بتضاريس جبلية

1 IbiD.p.1

وسهول داخلية ما يجعلها تشتهر بزراعة الحبوب والقمح والشعير وتربية المواشي والتي تعتبر مصدر معيشة سكان الولاية خاصة سكان الارياف والقرى، ومن جهة أخرى نجد في المدينة تنوع الصناعات والتجارة؛ حيث أصبح التجار يتنافسون فيما بينهم خاصة في أماكن التسلية والاستجمام، وخير مثال على ذلك (حمام دباغ) التي تتربع على مساحة قدرها 34 هكتار بمناظره الخلابة والساحرة يقصدها العائلات من مختلف ولايات الوطن للراحة والاستشفاء.

كما توارث المجتمع القالمي عبر الأجيال صناعات، وحرف تقليدية أصبحت عبر الزمن مكسبا وفخرا للمدينة من موروثات حضارية.

وتعتبر الصناعات التقليدية والحرف من أهم مقومات السياحة في الولاية، كصناعة النسيج، وهي من أهم الصناعات التقليدية والحرف الموجودة بالولاية، تقتصر على بعض الولايات، وما زالت شاهدة على تمسك القالميين بهذا التراث؛ حيث يستعملها الغني والفقير، كما تعتبر صناعة الزربية من أهم الصناعات التقليدية، التي لا تزال تمارس خاصة بمركز الزرابي والطرز المتواجد بعاصمة الولاية، وهذه الصناعة اتخذتها العديد من العائلات موردا لدخلها، كما هو الشأن في مجال حرفة النسيج بأنواعها وعلى وجه الخصوص (القشابية) وهي لباس تقليدي ذو قيمة في المنطقة([1]).

1 – وردة زرقين، الأمثال ثقافة شعب وخلاصة تجارب مجتمع عبر الازمنة، يومية الشعب الجزائرية، httl://www.ech-choop.com.

من بين عادات وتقاليد القالميين استعمال (الطاجين) لطهي (الكسرة)، و(الكانون) للتدفئة، والجرات الطينية و(الزير)، و هو عبارة عن جرة كبيرة الحجم تستعمل لحفظ الماء. كما تتميز الولاية بأكلات شعبية منها (الكسكس، الشخشوخة، الفطير، الغرايف، العصيدة، الطمين، البراج، العيش، العصبانة) و غيرها.

ولازال سكان الولاية يحافظون على عادات الأجداد في التراحم والتواصل، نذكر من بينها (التويزة)؛ حيث يقوم الأهل والجيران بالتعاون في أمور الحياة اليومية مثل الزواج، والأعمال الجماعية كالحصاد وبناء المساكن.

هذه هي بعض العادات والتقاليد لأهل ولاية قالمة التي عرفوها وحافظوا عليها أبًا عن جد، حتى صارت بمثابة العرف الذي لا يستطيع أحد الخروج عنه.

الفصل الأول

المثل والأنثروبولوجيا

أولا: تعريف المثل:

لغة: هو الشبيه والنظير والعبرة والآية جاد في "لسان العرب": المثل الحديث نفسه، والمثل الشيء الذي لشيء مثل فيجعل مثله والمثل مأخوذ من المثال والحذو.

ويكون المثل بمعنى العبرة ومنه قوله عز وجل: "فجعلناهم تسلفا ومثلا للآخرين".[1]

وللمثل عدة معان نذكر منها:

1- المماثلة:

فقد أورد إبن منظور أن: المثل الشيء الذي يضرب لشيء مثلا فيجعل مثله، وفي الصحاح: ما يضرب به من الأمثال ويقال: تمثل فلان ضرب مثلا، وتمثل بالشيء، ضربه مثلا وفي التنزيل العزيز " يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ".[2]

2- المشابهة:

فقد ورد أن المثل: المثل أيضا كشبه وشبيه، والمثل المضروب مأخوذ من هذا، لأنه يذكر مورّع عن مثله ومثله، كما يقال شبهه وشبيهه.[3]

3- العبرة:

ورد المثل بمعنى العبرة، ومنه قوله عز وجل " وجعلناهم مثل للآخرين" أي عبرة يعتبر بها المتأخرون.

---

[1] سورة الزخرف، الآية 56.

[2] سورة الحج، الآية 73.

[3] مختار الصحاح، ص20.

اصطلاحا:

تنوعت تعريفات المثل من قبل المختصين والباحثين وتشعبت آرائهم في هذا اللون من الأدب، ويمكن أن تجملها في التعريف الآتي:

المثل الشعبي جملة أو عدة جمل بليغة مختصرة تعبر عن واقعة او تجربة معينة مر بها الانسان، وتؤرخ لحوادث سعيدة او أليمة تبقى عبر الأجيال اللاحقة وغالبا ما تتم تداوله شفويا[1] ومنه نستنتج ان المثل يعني المشابهة والمماثلة.

ثانيا: الأنثربولوجيا

1-مفهوم الانثروبولوجيا: إن لفظة أنثربولوجيا Anthropology، هي كلمة إنكليزية مشتقة من الأصل اليوناني المكون من قطعتين أنثروبوس Anthropos، ومعناه "الإنسان" ولوجوس Locos، ومعناه "علم". وبذلك يصبح معنى الأنثربولوجيا من حيث اللفظ "علم الإنسان" أي العلم الذي يدرس الإنسان.

ولذلك، تعرف الأنثربولوجيا، بأنها العلم الذي يدرس الإنسان من حيث هو كائن عضوي حي، يعيش في مجتمع تسوده نظم وأنساق إجتماعية في ظل ثقافة معينة .. ويقوم بأعمال متعددة، ويسلك سلوكا محددا، وهو أيضا اللم الذي يدرس الحياة البدائية، والحياة الحديثة المعاصرة، ويحاول التنبؤ بمستقبل الإنسان معتمدا على تطوره عبر التاريخ الإنساني الطويل. ولذا يعتبر علم دراسة الإنسان (الأنثربولوجيا) علما متطورا، يدرس الإنسان وسلوكه وأعماله.

[1] ابن منظور، لسان العرب، مادة مثل، ص 18.

وتعرف الأنثربولوجيا أيضا، بأنها علم (الأناسة) العلم الذي يدرس الإنسان كمخلوق، ينتمي إلى العالم الحيواني من جهة، ومن جهة أخرى أنه الوحيد من الأنواع الحيوانية كلها، الذي يصنع الثقافة ويبدعها، والمخلوق الذي يتميز عنها جميعا.

كما تعرف الأنثربولوجيا بصورة مختصرة وشاملة بأنها "علم دراسة الإنسان طبيعيا وإجتماعيا وحضاريا" أي أن الأنثربولوجيا لا تدرس الإنسان ككائن وحيد بذاته، أو منعزل عن أبناء جنسه، إنما تدرسه بوصفه كائنا إجتماعيا بطبعه، يحيا في مجتمع معين له ميزاته الخاصة في مكان وزمان معينين.

فالأنثربولوجيا بوصفها دراسة للإنسان في أبعاده المختلفة، البيوفيزيائية والإجتماعية والثقافية، فهي علم شامل يجمع بين ميادين ومجالات متباينة ومختلفة بعضها عن بعض، إختلاف علم التشريح عن تاريخ تطور الجنس البشري والجماعات العرقية، وعن دراسة النظم الإجتماعية من سياسية وإقتصادية وقرابية ودينية وقانونية، وما إليها .. وكذلك عن الإبداع الإنساني في مجالات الثقافة المتنوعة التي تشمل: التراث الفكري وأنماط القيم وأنساق الفكر والإبداع الأدبي والفني، بل والعادات والتقاليد ومظاهر السلوك في المجتمعات الإنسانية المختلفة، وإن كانت لا تزال تعطي عناية خاصة للمجتمعات التقليدية.

وهذا يتوافق مع تعريف / تايلور/ الذي يرى أن الأنثربولوجيا: "هي الدراسة البيوثقافية المقارنة للإنسان" إذ تحاول الكشف عن العبلاقة بين المظاهر البيولوجية الموروثة للإنسان، وما يتلقاه من تعليم وتنشئة إجتماعية. وبهذا المعنى، تتناول الأنثربولوجيا موضوعات مختلفة من العلوم والتخصصات التي تتعلق بالإنسان.

2-تاريخ نشأة وظهور علم الأنثربولوجيا:

لعبت الحروب والرحلات التجارية والإستكشافية دورا كبيرا في إتصال الشعوب والمجتمعات فيما بينها، والتعرف إلى التنوع الموجود في السلالة البشرية من حيث الصفات الجسمية والسلوكات الجمعية وكذا إختلاف تباين العادات والتقاليد.

ولمعرفة عصر نشأة الأنثربولوجيا كعلم مستقل به موضوع ومنهج سنحاول تقديم عرض مختصر لأهم المراحل التاريخية التي ساهمت بشكل مباشر أو غير مباشر في ظهور هذا العلم.[1]

بالنسبة للعصر القديم، يمكن القول أن ما يمكن أن نلمسه هو بروز بعض الكتابات التي شكلت أرضية مناسبة لبداية البحث حول حقيقة التنوع والإختلاف في السلالة البشرية، فعلى مستوى الحضارة اليونانية أخذت أعمال المؤرخ "هيرودوتس" الصدارة نظرا لتنوعا في تقديم وصف لعادات وتقاليد ما يزيد عن الخمسون شعبا، كما إستطاع هذا الفيلسوف أن يعقد بعض المقارنات فيما بينها، جعلت الكثير من علماء الأنثربولوجيا يعتقدون أن منهج "هيرودوتس" في وصف ثقافات الشعوب وحياتهم وبعض نظمهم، ينطوي على بعض أساسيات المنهج الإثنوغرافي المتعارف عليه في عصر الحاضر بإسم علم الشعوب أما عن إسهامات الشاعر الروماني "كارلوس لوكارتيوس" فلم تكن أقل قيمة مما قدمه الإغريق، إذ إستطاع هذا الأخير أن يطرح موضوعات ذات أهمية بالغة، حيث تحدث عن فكرتي التطور والتقدم، نشأة نظامي الملكية والحكومية ونشأة اللغة، إضافة إلى مناقشة العادات والتقاليد، الفنون، الأزياء والموسيقى.

وقد رأى بعض الأنثربولوجيين أن "لوكارتيوس" إستطاع أن يتصور مسار لبشرية في عصور حجرية ثم برونزية وحديدية، بينما رأى البعض الآخر في فكر "لوكارتيوس" تطابقا مع فكر "لويس مورغان" أحد أعلام الأنثربولوجيا في القرن الـ 19م.

[1] عيسى الشماس، مدخل الى علم الانسان (الانثروبولوجيا)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق-2004، ص12.

وفي العصور الوسطى كان الوضع مختلف عند الأوربيين تراجعت كل سبل التفكير الفلسفي والتأملات النظرية الأولى في تاريخ الإنسان لصالح التفسيرات الدينية التي كانت تقدمها الكنيسة لفهم طبيعة هذا الكائن وما يحيط به، إلا القليل منها التي عملت على تمجيد العنصر الأوروبي المسيحي ووصف الشعوب والمجتمعات الأخرى بأسلوب ساذج ومتحيز تغلب عليه ذاتية الكاتب لينفي بذلك علاقته بظهور علم الأنثربولوجيا.

في المقابل كانت لإسهامات العرب المسلمون في عصرهم الذهبي وذلك ما بين القرن (7م-14م) بصمات جد هامة، تزامنت مع مجيء الدين الإسلامي وإزدهار الحضارة العربية الإسلامية في شتى المجالات، وإشتهر العرب في إعداد الموسوعات الكبيرة، والمعاجم الجغرافية.[1]

من أهمها مسالك الأمصار "لأبي فضل الله العمري" ومعجم البلدان "لياقوت الحموي".

وإلى جانب إهتمام هذه الكتب الموسوعية بشؤون العمران، فقد تميزت مادتها بالإعتماد على المشاهدة والخبرة الشخصية وكذا الرواية الموضوعية، ما جعلها مادة خصبة من ناحية المنهج الأنثربولوجي في دراسة الشعوب والثقافات الإنسانية.

بالإضافة إلى إسهامات كل من "البيروني"، "إبن جبير"، "إبن بطوطة" الذين إختصوا في وصف إقليم واحد، نجد إبن خلدون الذي نال شهرة كبيرة وواسعة، في مقدمته في التاريخ وإسمها بالكامل "كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر" حيث أجرى ملاحظاته الواقعية حول عادات وتقاليد مجتمعات شمال إفريقيا وقد كانت قوانين إبن خلدون مستمدة من ملاحظاته لظواهر الإجتماع.

[1] عيسى الشماس، مرجع سابق، ص13.

وترجع أهمية دراسته إلى إستخدام المنهج المقارن، إذ لاحظ عن كثب تباين المجتمعات وتشابهها، وأرجع هذه العوامل إلى أثر البيئة والعوامل الجغرافية في أخلاقية الشعوب وأحوالهم الإقتصادية ومدى تأثر الظواهر السياسية بهذه العوامل، وهو ما أثار إهتمام الأنثربولوجيين المعاصرون، غير أنهم يرون أن الأصول النظرية الأولية لهذا العلم قد ظهرت مع عصر النهضة، ففي القرن الـ 15 والـ 16 م سجلت بعض الأعمال منها ما تحدث عن خصائص جسم الإنسان ومنها عن العادات والتقاليد لشعوب مختلفة، كما إستفادت هذه الأبحاث من الإكتشافات الجغرافية التي تمت في القرن الـ 18م يعتبر البداية الحسنة لدراسة الشعوب والمجتمعات البدائية نظرا للتحول الذي رافق الحملة الإستعمارية الأوروبية في المستوى التعليمي للفئة التي كانت تنقل أخبار المجتمعات المستعمرة بحيث شملت هذه المرة رجال الإدارة الإستعمارية ومجموعة من رجال الدين المسيحي بدلا من الرحالة المستكشفين ذوي المستوى التعليمي المتدني.

كذلك شهد هذا القرن صدور أعمال كثيرة الفلاسفة ومفكرين أمثال الفيلسوف الفرنسي "تشارلز لويس مونتسيكو" الذي قدم كتابا بعنوان: "روح القوانين" حيث أكد فيه على وجود مجتمعات مختلفة من حيث عاداتها وتقاليدها القابلة للتغيير، كما بين العوامل المؤثرة في حياة هذه المجتمعات وضرورة مراعاتها عند سن القوانين المنظمة لشؤون حياتها.

خلاصة القول إستطاع فلاسفة القرن الـ 18م أن يمهدوا الطريق لظهور علوم موضوعية تدرس النظم الإجتماعية، ومن أهمها الأنثربولوجيا الإجتماعية وكان ذلك الأثر العظيم في القرن الـ 19م، بحيث أصبحت الأنثربولوجيا ذات طابع أكاديمي، وبرزت للوجود أسماء لامعة لرواد مثلوا فيما بعد الإتجاه الكلاسيكي التطوري ونذكر من بينهم "إدوارد تايلور" و "لويس مورغان"، الذي أشرف لى تدريس الأنثربولوجيا في جامعة أوكسفورد، لكن هذا العلم لم يكتب له الظهور وإكتمال النضوج إلا مع بداية القرن الـ 20م على يد كل من "برونسلو مالينوسكي" و "راد كليف براون" اللذان إستلهما أفكارهما عن عالم الإجتماع الفرنسي "إميل دوركايم" إستطاعا إحداث نقلة نوعية للبحث

الأنثربولوجي وتبني منهج الدراسة الحقلية التي تعتمد أدوات قياسية تستدعي زيارة الباحث لميدان الدراسة لمدة مستمرة لا تقل عن السنة.

كما لا يفوتنا التذكير بأن الفضل يعود إلى "مالينوفسكي" أكثر من "براون" في تطوير الدراسة الحقلية الأنثربولوجية ووضع أسسها المنهجية في ضوء دراساته العميقة في جزر التروبرياند بمنطقة ميلانيزيا لمدة (04) سنوات متتالية تعلم من خلالها لغة سكان هذه الجزر بعد أن إستطاع أن يندمج في حياة هذا المجتمع المحلي ويكسب أهله ما مكنه من توظيف أهم أداة منهجية وهي الملاحظة بالمشاركة لإستقاء ما يمكن من معلومات تخدم أغراض بحثه.[1]

ومشاعرها ومصالحها. وقد أسهمت الرحلات التجارية والإستكشافية، وأيضا الحروب، بدور هام في حدوث الإتصالات المختلفة بين الشعوب والمجتمعات البشرية، حيث قربت فيما بينها وأتاحت معرفة كل منها للآخر، ولا سيما ما يتعلق باللغة والتقاليد والقيم ... ولذلك، فمن الصعوبة بمكان، تحديد تاريخ معين لبداية الأنثربولوجيا.

إن الشعوب الناطقة باللغة الأنكليزية جميعها، تطلق على علم الأنثربولوجيا: "علم الإنسان وأعماله" بينما يطلق المصطلح ذاته في البلدان [2]

إلا بإحكام دقيق للفكر، أي بمنهج يستند إلى مبادئ العقل. وبالنظر إلى هذا المعنى الواسع، إختلف الفلاسفة في إعطاء معنى دقيق للفلسفة. فقد عرفها الطبيعيون بأنها: البحث عن طبائع الأشياء وحقائق الموجودات. وعرفها بعض الفلاسفة الآخرين بأنها: مجموعة المعلومات في عصر من العصور.

[1] عيسى الشماس، مرجع سابق، ص14.

[2] الجيباوي علي، الا نتربولوجيا، علم الاناسة، جامعة دمشق، 1996-1997، ص09.

وإذا كانت الفلسفة (أم العلوم) كما كانت تسمى، بالنظر لشمولية دراستها مجموعة من العلوم الرياضية والإنسانية والفيزيائية، فإن صلة الأنثربولوجيا بها وثيقة جدا، ولاسيما فيما يتعلق بنظرة الإنسان إلى الكون والحياة، في زمان ما أو مكان محدد. وذلك لأن الزمان والمكان مرتبطان بعلاقة جدلية، لا يمكن إدراك مكوناتها إلا من خلال دراسة الفعل الإنساني، الذي يسعى إلى البقاء والإستمرار.

فدراسة أصل الإنسان ونشأته وحياته وسعيه إلى البقاء والخلود، وما ينجم عن ذلك من تطور وتغير مستمرين، كلها تقع في ميدان الدراسات الأنثربولوجية، ولا سيما تلك العلاقة الأزلية بين طبيعة الإنسان، وواقعه وما يطمح إليه من آمال وأهداف، تؤمن سيرورة حياته.

2 – رواد علم الأنثروبولوجيا

- دافيد فريديريك ستراوس،(david fredirik straouss) (1908-2009)
- إميل دوركايم: يعتبر عالم اجتماع أكثر منه عالم إنسان.
- ميشيل فوكو: أنتروبولوجي ما بعد الحداثة
- كلود ليفي ستراوس: مؤسس أكاديمي للأنثروبولوجيا على أساس المدرسة البنيوية.
- بيير كلاسترز (pierre klasteres) (1934-1977) عالم وباحث في الانثروبولجية السياسية .
- فرانز اوري بواس(France boas) (1858-1948) عالم انثروبولوجي الماني ورائد في علم الانثروبولوجيا الحديث أطلق عليه لقب الانثروبولوجيا الامريكية ارتبط عمله بحركة التاريخانية الانثروبولوجية .

- عيسى الشماس، مقالة تطور علم الانثروبولوجيا.
- هيرودوتس: قام بوصف الجسماني للشعوب القديمة
- سان سيمون: قام بالبحث عن علم المجتمع
- تاكينس: مؤرخ رومالي درسه كانت حول القبائل الجرمانية.
- ديفيد هيوم: اعتبر أن المجتمعات الإنسانية عبارة عن أنساق طبيعية تتطور بشكل مستمر.
- فوستل دوكولانج: مؤلف كتاب المدينة القديمة صدر عام 1864.
- جيمس فريزر: أستاذ تاريخ الأنتروبولوجيا 1907.

3 –العلوم المتعلقة بعلم الأنثروبولوجيا:

أ –علم الإنسان الاجتماعي:

هناك العديد من العلوم التي تتعلق بعلم الأنثروبولوجيا، وهي علم الإنسان الاجتماعي الذي يدرس تصرفات البشر المعاصرين في مجموعات اجتماعية، وغالبا ما يقوم باحثو علم الإنسان الاجتماعي بإجراء دراسة ميدانية مكثّفة وطويلة الأمد (بما في ذلك الدراسات القائمة على ملاحظات المشاركين) والتنظيم الاجتماعي لشخص معين والعادات والوضع الاقتصادي والمنظمات السياسية والقانون، وتسوية النزاعات، وأنماط الاستهلاك والصرف والقرابة وبنية الأسرة، والعلاقات بين الجنسين، وتربية الأطفال، والتنشئة الاجتماعية، والدين.

كما يبحث علم الإنسان الاجتماعي في دور معاني الحياة الاجتماعية، وأوجه الغموض والتناقض بها، وأنماط النشاط الاجتماعي، والعنف والنزاع، والمنطق الكامن وراء السلوك الاجتماعي.

ويتم تدريب علماء الأنثروبولوجيا الاجتماعية على تفسير السلوك القصصي والشعائري والسلوك الرمزي، ليس كمجرد نص ولكن متصلا ومتعلقا بالعمل والممارسة والسياق التاريخي الوارد به. ويحلل علماء الأنثروبولوجيا الاجتماعية تنوع المواقف ووجهات النظر التي يمكن العثور عليها في أي مجموعة اجتماعية([1]).

ب – علم الإنسان الثقافي أو الأناسة الثقافية

يعد هذا العلم من فروع علم الإنسان العام، ويهتم بدراسة الثقافة من جوانبها المختلفة؛ حيث يركز على دراسة بناء الثقافات البشرية، وأدائها لوظائفها في كل زمان ومكان. ويهتم دارس الأناسة الثقافية بجميع الثقافات؛ لأنه يسهم في الكشف عن استجابات الناس نحو مشكلات الحياة والعمل وأهم العناصر الثقافية. ويرجع الفضل إلى "إدوارد تايلور" في نشأة هذا الفرع وتطوره وتنظيم موضوعاته في إطار واحد ينتظم حول الثقافة، ولعل التعريف الذي قدمه "تايلور" لا يزال سائدا حتى يومنا هذا على الرغم من ظهوره عام 1878.

ج – علم الاثار

وهو علم يختص بدراسة البقايا المادية التي خلقها الإنسان، ويبدأ تاريخ دراسة علم الأثار ببداية صنع الإنسان لأدواته (القواطع والأدوات القاطعة). وربما سمي علم العاديات نسبة إلى قبيلة عاد البائدة، وهو دراسة علمية لمخلفات الحضارة الإنسانية الماضية، وتدرس فيه حياة الشعوب القديمة المختلفة، وتشمل المباني والعمائر، والفخار والعظام. وقد تكون بعض الاكتشافات مثيرة،

1 – أ حمد مرسي. دراسات أنثروبولوجية، دار المعارف القاهرة، ص24.

مثل قبر فيه حلي ذهبية، أو بقايا معبد فخم[1]، إلا أنّ اكتشاف قليل من الأدوات الحجرية أو بذور من الحبوب المتفحمة، ربما يكشف بشكل أفضل عن جوانب كثيرة من حياة الشعوب، وتوثيق أنواع الأكل المستخدمة قديما، وما يكتشفه عالم الأثار، بدءا من الضروح الكبيرة وانتهاء بالحبوب، يسهم في رسم صورة عن معالم الحياة في المجتمعات القديمة. إن البحث الآثاري هو السبيل الوحيد لكشف حياة المجتمعات التي وجدت قبل اختراع الكتابة منذ خمسة ألف عام تقريبا. كما أن البحث الآثاري نفسه يشكل رافدا مهما في إغناء معلوماتنا عن المجتمعات القديمة التي تركت سجلات مكتوبة[2].

هـ: علاقة الأنثربولوجيا بعلم النفس

يعرف علم النفس بأنه: العلم الذي يهتم بدراسة العقل البشري، والطبيعة البشرية، والسلوك الناتج عنهما. أي أنه: مجموعة الحقائق التي يتم الحصول عليها من وجهة النظر النفسية. وهذا يعني: أنه العلم الذي يدرس سلوك الإنسان بهدف فهمه وتفسيره.

ومن هذا المنطلق، يمكن القول: إن علم النفس، هو العلم الذي يدرس الإنسان من جوانب شخصيته المختلفة، بغية الوصول إلى حقائق حولها، قد تكون ذات صفة عامة ومطلقة، يمكن تعميمها.

1 - بريتشارد: الأنتروبولوجيا الاجتماعية، تر: أحمد أبو زيد ،الهيئة المصرية العامة للكتاب الإسكندرية، الطبعة الخامسة، 1975.ص28.

2 -مارك أوجي: أنتروبولوجيا العوالم المعاصرة ترجمة وتقديم (طواهري ميلود).ص43.

ولذلك، تهتم الدراسات النفسية بالخصائص الجسمية الموروثة، وتحديد علاقتها بالعوامل السلوكية لدى الفرد، ولاسيما تلك العلاقة بين الصفات الجسمية العامة، وسمات الشخصية. مع الأخذ في الحسبان العوامل البيئية المحيطة بهذه الشخصية.

ويميل النفسيون إلى الإعتقاد بأهمية هذه العوامل البيئية في هذه العلاقة، فالشخص القوي البنية، والذي يميل إلى السيطرة وتولي المراكز القيادية، لا بد وأنه تعرض إلى خبرات إجتماعية / نفسية، في أثناء طفولته ونموه، أسهمت في إكسابه هذه السلوكات. وإذا كانت الأنثربولوجيا، توصف بأنها العلم الذي يدرس الإنسان، من حيث تطوره وسلوكاته وأنماط حياته، فإن علم النفس يشارك الأنثربولوجيا في دراسة سلوك الإنسان. ولكن الخلاف بينهما، هو أن علم النفس يركز على سلوك الإنسان / الفرد، أما الأنثربولوجيا فتركز على السلوك الإنساني بشكل عام. كما تدرس السلوك الإجتماعي النابع من تراث الجماعة. [1]

وعلى الرغم من أن علم النفس يقصر دراسته على الفرد، بينما تركز الأنثربولوجيا إهتمامها على المجموعة من جهة، وعلى كل فرد بصفته عضوا في هذه المجموعة من جهة أخرى، فثمة صلة وثيقة بين العلمين. حيث إكتشف علماء النفس أن الإنسان لا يعيش إلا في بيئة إجتماعية يؤثر فيها ويتأثر بها .

[1] عيسى الشماس، مرجع سابق، ص39.

وتنصب الدراسة في علم النفس الإجتماعي على المحاكاة والتقليد والميول الإجتماعية، كالمشاركة الوجدانية والتعاون والغيرية وغريزة التجمع، إضافة إلى دراسة الإتجاهات. فقد صدرت دراسات خاصة بالأنثربولوجيا السيكولوجية، التي تعنى بالظواهر السيكولوجية لبني البشر حين يعيشون في طبقة أو جماعة، حيث أن الطبيعة الإنسانية من صميم علم النفس العام، كما أنها عامل حتمي في تكوين النظم الإجتماعية / الإنسانية.

ولذلك نرى أن المهمة التي تواجه الباحث الأنثربولوجي، لا تختلف عن تلك المهمة التي تواجه عالم النفس. فكلاهما عليه أن يستخلص صفات الشيء الذي هو موضوع دراسته، من التعبير الخارجي في السلوك .. وإن كان عالم الأنثربولوجيا يعوقه إضطراره إلى إدخال خطوة إضافية في مستهل عمله. فبينما يستطيع عالم النفس أن يلاحظ سلوك موضوع بحثه بصورة مباشرة، ينبغي على عالم الأنثربولوجيا أن يبني إستنتاجاته على الأنماط المثالية للثقافة التي يتناولها بالبحث.[1]

ولكن مهمة عالم الأنثربولوجيا في محاولاته لكشف خفايا الأمور، تشبه مهمة عالم النفس في الجهود التي يبذلها في سبر غور العقل الباطن. وفي كلا الحالين، تتألف النتائج التي يتوصل إليها الباحثون من سلسلة تأويلات، أما الحقائق التي تستند إليها هذه التأويلات، فكثيرا ما تكون قابلة لأكثر من تفسير.

[1]عيسى الشماس، مرجع سابق، ص40-41.

لذلك، تعد دراسة الأنثربولوجيا دراسة للأنماط السلوكية الإنسانية، بينما تعد الدراسة النفسية دراسة للسلوك الخاص بالشخصية الفردية، وأن كانت تتأثر بالعلوم الإجتماعية.

هـ: علاقة الأنثربولوجيا بعلم الجيولوجيا والجغرافيا

تساعد الدراسات الجيولوجية التاريخية في تحديد الفترات الزمنية التي عاش فيها كل نموذج من أنواع الجنس البشري، نظرا لوجود البقايا العظمية للأسلاف، على شكل بقايا مستحاثة حفرية بين ثنايا القشرة الأرضية الرسزبية والمنضدة بعضها فوق بعض، وفق خاصية النشوء والتقادم لكل منها، بحيث يكون أسفلها أقدمها وأعلاها أحدثها.

وهذا يمكننا من معرفة الفترة الزمنية التي عاش فيها ذلك الإنسان الحفري، إلى جانب معرفة العالم الحيواني الآخر الذي كان يحيط به، من خلال التعرف إلى البقايا العظمية المستحاثية للأنواع الحيوانية التي كانت تعاصره في بيئة جغرافية واحدة. كما أننا نستطيع التعرف إلى الظروف المناخية التي كانت سائدة عندما كان يعيش هذا الإنسان أو ذاك، في تلك الأزمنة السحيقة من تاريخنا البشري. [1]

كما تستفيد الأنثربولوجيا من الدراسات الجيولوجية، تستفيد أيضا من المعطيات العلمية/ الجغرافية، وفي مقدمتها النواحي الطبيعية، من تضاريس ومياه، إلى جانب الظروف المناخية التي

[1] الجيباوي علي، مرجع سابق، ص41.

تتفاوت من منطقة إلى أخرى، وذلك بحسب قربها – أو بعدها – من خط الإستواء، أو من شواطئ البحار والمحيطات، أو إرتفاعها وإنخفاضها عن سطح البحر.

فهذه العوامل كلها تؤثر في حياة الإنسان بجوانبها المختلفة، العضوية والإجتماعية والثقافية. ولذلك، فإن الأحوال المعيشية والبنى الإجتماعية عند المجتمعات البشرية متشابهة بسبب تباين الظروف الجغرافية التي توجد فيها تلك المجتمعات. فسكان المناطق الجبلية المرتفعة يكونون في مأمن من الأخطار الخارجية، بينما يتعرض سكان السهول دوما إلى غزوات وإحتياجات من الشعوب أو القوى الخارجية. وفي المقابل، يكون سكان المناطق الساحلية أكثر إنفتاحا في علاقاتهم مع العالم الخارجي، قياسا بأهل المناطق الداخلية حيث تكون العلاقة الأسرية شبه منغلقة على ذاتها، إلى جانب الإلتزام بالعصبية القبلية. وهذا ينعكس في سلوكية السكان في هذه المنطقة أو تلك[1].

ولذلك، يميل علماء الأنثربولوجيا إلى إهمال ما يسهى بالقدرات الفطرية للشعوب الإنسانية، ويؤثرون كتابة تاريخ الحضارة في ضوء عوامل البيئة والحظ وتسلسل الأحداث المترابطة. فهناك من يجد أن للمناخ أثرا في ناتج الطاقة الإنسانية، وهناك من يعتقد بوجود علاقة بين الطقس والخمول الذي يتميز به سكان المناطق الحارة، أو النشاط الإندفاعي الذي يميز سكان المناطق الباردة والعاصفة.

[1] الجيباوي علي، مرجع سابق، ص.42

وضمن هذه الرؤية، قام الدكتور (وليم بيترسن) W. Petersen في أواسط الستينات من القرن العشرين، بإجراء تحليل دقيق للإرتباط الوثيق بين الطقس والوظائف الفيسيولوجية، وبنى دراسته على التقدم الذي أحرزه المرضى الذين كان يشرف على علاجهم. وتبين من نتائج أبحاثه، أن تقلبات حالة المرضى تتبع نمطا مشابها لتراوحات الضغط البارومتري، وبدا وكأن الظاهرة الأولى تتأثر بالثانية.

وإذا كان من الصحيح أن وظائف الإنسان الفسيولوجية قابلة للتكيف مع أنواع البيئات المختلفة، فإنه من السهل –في المقابل – أن نتصور أن بعض جوانب البيئة، تكون أكثر أهمية وتأثيرا من بعضها الآخر، في مراحل معينة من تاريخ التطور الإنساني، الحضاري، والإجتماعي والثقافي ... وهذا كله يدخل في جوهر الدراسات الأنثربولوجية وأهدافها.

وهكذا، تشكل الأنثربولوجيا مع العلوم الأخرى، ولاسيما العلوم الإنسانية، منظومة من المعارف والموضوعات التي تدور حول كائن موضوع الدراسة، وهو الإنسان. ويأتي هذا التشابك (التكامل) بين هذه العلوم بالنظر إلى تلك الأطر المعرفية والمناهج التحليلية، التي تنظم العلاقة المتبادلة والمتكاملة بين المجالات المعرفية المختلفة التي تسعى إليها هذه العلوم.

4– المنهج الأنثروبولوجي – الآلية والإجراء

من الآليات التي اعتمدنا عليها في تحليلنا للأمثال الشعبية، ركن الملاحظة وركزنا على آلية التفسير والتحليل باعتبارها تتناسب أكثر مع مادة بحثنا والمتمثلة في مادة الأمثال الشعبية كنصوص

شفوية من التراث الشعبي. فهي تختلف عن باقي الآثار وظواهر السلوك الاجتماعي كالعادات، والتقاليد، وغيرها من الممارسات الأخرى.

1 – الملاحظة (المشاهدة)

هي أحد الأساليب التي يستخدمها الباحث في دراسة آثار الشعوب البدائية، ويقوم هذا الأسلوب على مراقبة ومعاينة أفراد الشعب الذي تجرى عليه الدراسة في أثناء تأدية أعمالهم اليومية المعتادة، وكذلك حضور المناسبات العامة التي يقيمها أفراد هذا الشعب، والاجتماعات الدينية، أو الشعبية، وحلقات الرقص، ومراسيم ذفن الموتى، وغيرها وذلك برصد الحركات والتصرفات وتسجيل ما يجدر تسجيله من حوارات، وتراتيل، وما إلى ذلك من التغييرات التي يؤديها الأفراد في هذه المناسبات.

وتحتاج هذه الطريقة إلى أن يكون الباحث عالما بأهداف بحثه وبطبيعة المجموعة المدروسة، وأن يتمتع بقدر كبير من الاهتمام والوعي بأبعاد الظاهرة التي يقوم بدراستها، وكيفية رصد هذه الأبعاد بدقة وموضوعية؛ حيث يتوقف على ذلك صدق المعلومات وفائدتها العلمية.

2 –التحليل والتفسير

اعتمدنا في آلية التفسير والتحليل للأمثال الشعبية في منطقة قالمة على عدة خطوات منهجية أهمّها:

- جمع الأمثال: حيث قمنا بجمع نصوص الأمثال باعتبارها العينة الدراسية ثم انتقلنا إلى عملية ترتيب الأفكار الأولية من خلال عملية التحليل المبدئي.

- تنظيم المعلومات ووضع عناوين وإطارات رئيسية وفرعية وفقا لما تتطلبه مقتضيات الدراسة، أما إذا كان جمع البيانات يحتاج لعملية التحليل والتفسير الاحصائي فيتم استخدام برامج خاصة مثل (الإيكسل).
- تفسير وتحليل المادة البحثية وذلك إذا كانت البيانات التي تمّ جمعها لا تتطلب التحليل الاحصائي، فاكتفينا بالتفسير والتحليل. وعند انتهاء عملية التحليل والتفسير يقوم بكتابة النتائج المتحصل عليها، حيث تتم كتابة النتائج في قائمة واحدة إما على شكل نقاط مرقمة أو فقرات متتالية([1]).

1 – الدكتور عيسى الشماص، مدخل إلى علم الانسان الأنتروبولوجيا.

الفصل الثاني

الأمثال الشعبية دراسة أنثروبولوجية

–منطقة قالمة –أنموذجا–

أولا = الأمثال المعبرة عن الحياة الأسرية

اعتنت الأمثال الشعبية بالأسرة عناية كبيرة باعتبارها في الأصل هي ذلك الوطن الذي نحيا فيه، ومن أجله نعيش ونموت فهي كتلة مترابطة ومتماسكة. ولهذا تناولنا حقل الأسرة في أكثر جوانبها. وقد استطاعت الأمثال الشعبية أن تعكس مظاهر الحياة الأسرية بكامل أفرادها وأبعادها مثل:

1 – الأمثال المعبّرة عن الوالدين

أ –"اللي يتبع راي الوالدين إذا ما ربح سلك على خير".

ففي هذا المثل حث على طاعة الوالدين لأنه من يرضي والديه ينال رضى الله تعالى والأجر العظيم في الدنيا والاخرة باعتبار أن الوالدين أكثر منك عمرا وخبرة في الحياة فهم عاشوا على حلو الأيام ومرها، ولهم رؤية بعيدة لا تستطيع رؤيتها بأعيننا فرأيهم مهم في حياتنا يجعلنا نتخطى الصعاب ونكون في أعلى المراتب، بالإضافة إلى أن الله تعالى ذكر في كتابه الكريم نصوص تحث على الوالدين لقوله تعالى: (وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا)([1])، وقوله أيضا (أن أشكر لي والديك إلى المصير)([2])، وقوله صلى الله عليه وسلم: "أمك ثم أمك ثم أمك ثم أبوك".

1 – سورة الاسراء، الآية 23.

2 – سورة مريم، الآية 14.

ب – "اللي ما عندو أمو يحط حجرة في فمو"

نلاحظ اهتمام الأمثال الشعبية القالمية بالأم، كونها نبع الحنان ومصدر الحب، والعطف، والأمان. فمزاياها علينا لا تعد ولا تحصى، فهي رمز السعادة في ضوء ساطع ينير دربنا وبفقدانها نفقد ذلك النور.

ووقد اهتم المثل في مدينة قالمة اهتماما بالغا باليتيم وتحسر على حاله، وعلى معاناة الإنسان الفاقد لحنان الأم وأمان الأب. ويظهر هذا المثل الشعبي حيث نجد كلمة "إيدير" معناها يضع وكلمة "الحجرة" في الجزء الثاني من المثل حيث تحمل دلالة القساوة والصمت وعدم القدرة على الكلام. فهي تعبر عن الظلم الذي يعاني منه اليتيم وقسوة المجتمع عليه، والإحساس بالضعف وغياب العطف والأمان، وتضحية الأم التي تفدي صغارها وتحميهم، وتوفر لهم كل الحاجات. وفاقدها محروم من أبسط الضروريات حتى في لقمة العيش منذ أن يكون رضيعا إلى أن يكبر. فالطفل له حاجيات مختلفة باختلاف مراحل نموه أهمها الحب والحنان الذي ينتج عنها أثر كبير إن لم يجدها الطفل، فيكون عرضة لمجموعة من الاضطرابات النفسية، والشعور بالوحدة، والقهر ويصبح كالحجر، لهذا عبّر المجتمع القالمي على الحرمان الذي يعيشه اليتيم تقشعر الأبدان عند سماعه.

كما نجد تمسك المجتمع القالمي بأحكام الدين الإسلامي الذي يوصى دائما على نصرة اليتيم هو ما جعلهم ينتجون أمثال شعبية معبرة عن حالة اليتيم لقوله تعالى "أما اليتيم فلا تقهر" [1]صدق الله العظيم.

1 – سورة الضحى، الآية 9.

ج – "قلب البرمة على فمها تخرج الطفلة لأمها":

نجد في هذا المثل الفعل "قَلِّبْ" و"البرمة" التي تعني القِدْر وهي من الأواني المنزلية التي تستعملها المرأة بكثرة في المطبخ، وتعني الديمومة فنجد أكثر مكان تتواجد فيه المرأة وهو المطبخ، وذلك لتلبية حاجات أسرتها. وبما أن البنت تلازم أمها فهي تتأثر بها في معظم الأمور، وبهذا تخلق علاقة وطيدة لتصبح البنت امرأة أمها تحاول أن تشبهها في الشكل، والصفات، وطريقة التصرف. وعلى هذا قال أحمد شوقي:

الأم مدرسة إذا أعددتها *** أعددت شعبا طيب الأعراق

فالأم في المجتمع القالمي تعمل جاهدة أن تجعل من أثبتها تحمل مواصفاتها وتقلدها لكي تتحمل مسؤولية عائلتها وأسرتها فيما بعد وتكون زوجة صالحة كذلك لأن الأم تمثل التفاصيل التي تنهض بالأسرة نحو الحياة المتقبلة بالقناعة والإحسان.

د – كل خنفوس عند أمو غزال

في هذا المثل إعجاب المرء بما لديه وبما يملك؛ حيث شبه الطفل بالخنفوس وهو نوع من أنواع الحشرات من صنف الجناحيات، إلا أن هذه الحشرة تلقى نفور في الذوق العام تبعا لشكلها وخاصة عند النساء. ومنها تكونت صورة البشاعة في هذا المخلوق إلا أن حشرة الخنفوس في الحضارات المصرية اعتبرت حشرة مقدسة تفاءلوا بوجودها في منازلهم؛ حيث شبهوها بمعبودهم الاله "رع" إله الشمس في النهار خنفساء الجدران وفي الليل أنها ذات قوة عظيمة لحماية القلب وهي حياة جديدة

للمتوفى[1]، وفي هذا المثل تتجسد نظرة الأم المتميزة لابنها مهما كانت صورة بشاعة خَلْقه. فمهما كان الولد بشعا وقبيحا (خَلْقيا أو خُلُقيا) إلا أن أمه تراه أجمل إنسان في نظرها. ويبدو أنّ سكان هذه المنطقة قد قللوا من قيمة حشرة "الخنفساء" لكونها حشرة تفقد لمواصفات الجمال ووضعوها في مرتبة أقل من مرتبة الغزال المعروف عنه في الحضارات العربية على أنه رمز للجمال والرشاقة.

2 – الزواج

الزواج وهو العلاقة الشرعية المقدسة التي تجمع بين المرأة والرجل التي تبنى على أساس متين وقوي لتفتح لهم الطريق لبناء أسرة لتكون منبثا صالحا لتربية الأجيال تربية حسنة. لقوله تعالى: (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائلا لتعارفوا)[2]؛ حيث إنّ الإسلام حث على الزواج لكي يتم الاستقرار في هذه الحياة، ويعمر الإنسان الأرض أيضا لإشباع رغباته بطرق شرعية، وحتى يكون كلا الطرفين سندا مكملا للآخر في جميع شؤون الحياة، وقد تناولت الأمثال هذا الموضوع بإسهاب، تنصح، وترغب للزواج الذي اعتبره سبحانه وتعالى نصف الدين.

أ – "زواج ليلة تدبيرتو عام"

هو مثل شعبي يتداوله المجتمع الجزائري عامة والمجتمع القالمي بصفة خاصة في موضوع الزواج، فعلى المرء ألاّ يتسرع في اختيار شريك حياته، بل ينبغي التريث والتفكير مليا؛ لأن الحياة ليست خالية من المشاكل والصعاب. فالزواج ما هو إلا نتيجة نهائية للكثير من التفكير، والتدبير،

1 – موقع عين الإخبارية http://al-ain.com

2 – سورة الحجرات، الآية 13.

واستشارات الأهل والأقارب والمعارف، ذلك ليختار شريك حياته. وعُمِّم المثل فيما بعد على الكثير من الأمور التي تتطلب حسن التدبير والتفكير.

ب – "ما يعرس إلا ما يتهرس":

مثل يتناوله المجتمع القالمي عادة للعريس الذي يحضر للعرس حيث يقال فيه ما يعرس إلا ما يتهرس فكلمة "يتهرس" تحمل دلالة الجهد والتعب الذي يعانيه الرجل في سبيل إرضاء عادات وتقاليد المجتمع فيما يخص الزواج. بالإضافة إلى أنها تدل أيضا على التكاليف التي يتوجب على العريس مجابهتها. فالمقبل على العرس تفرغ جيوبه إلى آخر دينار، فالعادات والتقاليد القالمية تفرض أمورا على العريس تفوق قدراته. وهذا المثل يخص الرجل فقط لأن المرأة التي تعاني في الماضي في الزواج، عكس هذه الأيام منها غلاء المهور التي تنهك الرجل الراغب في الزواج، لكن رغم كل هذه الصعوبات إلا أن الرجل يوافق ويرضى بالشروط دون اعتراض في الكثير من الأوقات.

ج – "لخير مرا والشر مرا"

يتداول المجتمع القالمي هذا المثل بمعنى أنّ الخير كل الخير في صلاح المرأة وأنّ الشر كل الشر في فسادها. فهذا مثل يدل على مكانة المرأة ودورها في بناء المجتمع. إذا كانت على قدر من المسؤولية تجاه أسرتها وأهلها وجيرانها ومحيطها بصفة عامة. هنا تكون قد أدت دورها ببراعة وقوة، كونها المضحية، والمربية التي تنشأ على يدها أجيال طيبة التربية والأخلاق. وأما إذا فسدت في تربيتها السيئة للأجيال فسيهلك المجتمع. فالمرأة عمود البيت والركن الأساس في الأسرة، والأسرة نواة المجتمع، وبالتالي فهي أساس المجتمع.

ويرتبط هذا المثل أيضا –حسب معتقدات المجتمع القالمي –بحظ الرجل الذي يسقطونه مباشرة بعد عقد قرانه مع زوجته، فنجده يجعل من الزوجة لعبة البوكر التي تحتمل الربح والخسارة؛ فتوجَّه لها أصابع الاتهام؛ في حين يكون الرجل بريئا من كل تهمة؛ وبهذا تنبذ المرأة من عائلة الزوج. وهناك كثير من الأزواج فقدوا ذويهم قضاءً وقدرا إثر حادث أو مرض قبل موعد العرس، أو أثناءه فتوجه الاتهامات مباشرة إلى العروس التي توصف "بالنحس". بل إنّ سقوط المطر قبل العرس، وتعطل سيارة الزوج، أو فقدانه لعمله مثلا، لا تسلم منه المرأة. والعكس قد تكون خيرا عليه إذ حدثت معه أمور إيجابية فيطلق عليها هنا "بالمربوحة".

د – "الزواج ستر وغطا"

مثل قديم يتناوله المجتمع الجزائري عامة، والمجتمع القالمي خاصة. فالمثل الشعبي "الزواج سترة وغطا"، إذا تمعنا في حرف الألف في كلمة "زواج" يمكن وصفها بأنها كالجدار الذي يحمى المرأة ويسترها، والعبارة توحي بأن البنت يلزم دائما أن تكون محمية إما بستر أبيها، أو بستر زوجها. والمقصود بالستر هو الحماية فالزوج يحفظ كرامتها وشرفها في الوسط الذي تعيش فيه، فيقال لها زوجة فلان، وقد يقصد بالستر أيضا إشباع الحاجات العاطفية للمرأة، وكذلك ستر للرجل لأن الرجل له نفس الحاجات العاطفية، وربما أكثر. وذلك لتفادي المحرمات، والله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم وصف الزواج بأنه ستر للإثنين الرجل والمرأة فقال تعالى (هنّ لباس لكم وأنتم لباس لهن)([1]). فالآية لم تكتف بكون المرأة ستر للرجل بل جعلت الرجل أيضا سترا لها. فالستر هو القرب والغطاء والرجل

1 – سورة البقرة، الآية 186.

يحتاج للمرأة كما تحتاج المرأة للرجل. فعندما تكون لك زوجة صالحة تحمل معك هموم الدنيا فهي ستر وغطاء لزوجها، والزوج كذلك لا يستطيع إعمار سكناه بلا زوجة. وهو ضائع بدون زواج، لهذا فالزوجان غطاء وستر على بعضهما البعض.

2 – علاقة الحماة بالكنة

تتميز العلاقة بين الكنّة والحماة بالحساسية والتوتر منذ القدم، ويقوم نجاح العلاقة أو فشلها على نوعية التواصل بين هذين الطرفين، فالعروس أول من تواجهه في بيت الزوجية بعد زوجها هو أمه، التي تراقبها في كل صغيرة وكبيرة، كونها فردا جديدا في أسرتها، فتنتقدها تارة وتمدحها أخرى، وكأن بينهما حربًا باردة تبعث جوا مشحونا متوترا كلما اجتمعتا، فالأم ترى أن ابنها قد سُلب منها من قبل كنتها، والزوجة ترى أن حماتها تغير منها وتتحكم في ابنها، وتحاول أن تخلق المشاكل بينهما. لهذا نجد الأمثال التي تناولت صلة العجوز بالكنة تبين العلاقة بينهما بكل تعقيداتها وصعوباتها ومشاكلها.

فطالما عاشت المرأة العربية عامة والجزائرية خاصة وضعا استثنائيا نتيجة الظروف الفكرية السائدة في العالم العربي، والتي كانت انعكاسا صريحا للأفكار التي يتبناها العرف ورعاها لحقبة غير قصيرة من الزمن، فكانت المرأة هي الخادمة المطيعة السميعة للرجل، فهو يحتاجها طباخة، غسالة، نظافة، ومبتسمة في وجه الضيوف والوافدين.

أ – الكنة كنة لو كانت في الجنة.

معنى كلمة الكنة في الاصطلاح الجزائري وهي زوجة الابن، والكلمة الثانية الواجب التطرق إليها هي الجنة، وهي المكان المجهز بكل أنواع الرفاه ليكونوا جزاء للمؤمن يوم القيامة.

ومن جملة الأفكار التي أفرزها العرف في المجتمع الجزائري هو فكرة أن مطالبة المرأة بالمنزل المستقل يعد وقاحة مبالغ فيها، وأمر لا يصبر عليه، ونذير شؤم، وأن المرأة لم تأت بالخير لتلك الأسرة. في حين أباح الله عز وجل لها الاستقلالية التامة بما هو متاح للرجل؛ ولكن على الأقل الاستقلالية في غرفة النوم، وفي المرافق المصاحبة للراحة الزوجية، من حمام، ومطبخ، وغيرها من المرافق، بما يجعل الحياة الزوجية مملكة مستقلة تماما عن جبروت العائلة، وتسلط الأطراف التي ترى نفسها تملك حق التدخل في كل صغيرة وكبيرة.

ولما حرم العرف المرأة حق إدارة بيتها وشؤونه قديما، فهي لا تبدي رأيها حتى فيما تطبخه اليوم، أو فيما تستدعيه غدا، حتى لو كانت أمها أو أختها أو خالتها.

كما أن الزوجة لا تملك حق تسمية الولد فكم صغيرا سمي باسم جده الذي عيروه به في المدرسة، أو بأسماء التي قد لا تتماشى، ولا تتناسب مع الجيل اللاحق، فكم من زوجة تطلقت لأنها أرادت اسما لابنها، وكم من زوجة ضربت لأنها أرادت أن تمارس حياتها الشخصية، وكم من زوجة عوقبت بالجفاء لأنها فقط أرادت تسمية ابنها.

وتكثر المواقف والحالات التي تجعل الزوجة خاضعة للعائلة بأكملها فقد يضربها أخ زوجها، وقد تجلدها أم زوجها، وقد يعاقبها عم زوجها، فهي زوجة العائلة بأسرها وليس لزوجها فقط. فضلا

عن الأعمال المنزلية الشاقة نظرا لطبيعة الحياة الجزائرية آنذاك. حيث كانت طبيعة الحياة زراعية، فنلحظ اعتماد الرجال على الحصاد وزراعة القمح قصد العيش. ومعلوم أنّ طبيعة هذا النشاط يصاحبه تعب كبير ومجهود أكبر، مما يجعل الرجل الجزائري في دوامة لا تنتهي من النشاط. وهذا النوع من الأنشطة الجماعية يتطلب وجوبا ما يسمى بالتويزة في الثقافة الجزائرية. مما يلزم المرأة بأعمال منزلية شاقة موازية لنشاط الرجل في الخارج. مما يضاعف معاناتها، فهي بدل أن تطبخ لفرد تطبخ لعشرة وبدل أنه تغسل آنية تغسل ثمانية وهكذا.

وهذه الأجواء العائلية منتشرة في المجتمع الجزائري قاطبة وليس في عائلة دون أخرى مما يجعل الجو عاما، والوضع سائدا، والحال واحدا. فأي أم لديها طقوس تقوم بها وأي أخت، وأي زوجة كذلك. وربما يفتح هذا المثل أبوابا لقراءات وتحليلات كثيرة قد نتفق وقد نختلف معها.

فشعور المرأة داخل البيت الجزائري شعور عميق بالغربة في أرض الوطن وفي ثنايا ترابه؛ ذلك أن الرجل الجزائري يشعر كأنه حرر الأقصى حتى يلقى زوجة تفتكه من أحضان أمه حسب تفكير أمه، فالشعور بالتعلق الشديد نحو الولد، والرغبة في تملكه، وفي السيطرة عليه تحت شعار (رضاية الوالدين)، والتي سقطت أمامها قرارات المرء ورغباته وآماله، واختياراته لإرضاء الوالدين غير المؤسسة ولا المبنية على أسس صحيحة سوى شعار "أني نحكم في ولادي".

عندما تستبد الأم بابنها، والأخت بأخيها، تستقبل الزوجة تلك الرسائل الصريحة، وغير الصريحة في تصرفات الجميع، "أنت أخذتيه، أنت سارقة، أنت مفترية".

وحتى لو وفرت الأسرة جوا من الحميمية والحب والمودة للزوجة، فسيكون طبعا لأنها مطيعة، وللعرف سميعة، أما إذا تمردت لتطالب بحقها في الاستقلال بمنزلها والتسيّد عليه، أصبحت عاقة وليست ببنت أصول.

ب – إذا تفاهمت العجوز والكنة يدخل إبليس للجنة

إذا أردنا أن نسبر أغوار هذا المثل، نجد له علاقة وثيقة بالمثل السابق، وكلاهما يندرج في إطار العلاقة بين المرأة وزوجة ابنها. وقد تكلمنا أن الظروف المحيطة والأحوال السائدة للبيئة الجزائرية، وعن تضاريس فكريهما في العائلة الجزائرية عموما.

فالمرأة الجزائرية ممدوحة إذا ما امتثلت لتلك القواعد، واتبعت ذلك النظام بأن تكون خادمة مطيعة وراعية سميعة دون المطالبة بأدنى حقوقها في البيت، أما إذا أرادت أن تطالب بذلك الحق فالويل لها كل الويل مما تلقاها من إقصاء وتهميش، وفي بعض الأحيان يكون مصيرها طلاق.

ولو تأملنا الأسباب التي طلقت عليها الكثير من النساء لوجدناها بسيطة والأهم من بساطتها بداهتها، ألا يحق للمرأة أن تطالب ببيت مستقل ترعى فيه شؤونها وتربي فيه نسلها ؟! بلى والذي نفس محمد بيده ألا يحق للمرأة أن يحن زوجها عليها ويلين معها وإبداء حبه لها، بلى وخالق السماوات ولكن مع تلك العادات البالية والتقاليد الواهية والخرافات العائلية أن يضحك مع زوجته ويناغيها ويحنو على أكتافها ويزخرف خيوط رجولته على أحضانها فالويل لمثل هذا النوع من الرجال.

ولما تتمرد المرأة على الوضع تفقد كل حقوقها، بل تصبح له عدوة، وخصما لا مسكوت عنه، لأنها تطالب باستقلاليتها في بيتها. فالعادات الجزائرية تفرض على العجوز أن تكون متسلطة،

مستبدة، متحكمة، في مصير بيت زوجها، ومن هنا تنطلق الخصومات، وتتعالى الصيحات، وتكثر المشاجرات؛ لأنّ زوجة الابن آنذاك لم تكن تملك الحق حتى في الدفاع عن نفسها.

ج – تكبري يا الكنة وتولي عزوز

ورغم ذلك التسلط السائد والهيمنة المعلنة من العجوز الجزائرية إلا أنها هناك نفرا من زوجات الابن اللاتي يتمردن على ذلك الوضع، وأنه يشقّن طريقا مستقبلا بل ويتمادين في ذلك إما ظلم عارم وخاصة إذا ما كانت العجوز ظالمة لها في بداية مشوارها الزواجي، وتحتمت الظروف أنه تبقى العجوز عند زوجة ابنها لأن ابنها يخشى كلام الناس عنه بأنه ديوث ولا يستطيع أن يفرض كلمته في بيته، فيأتي بأمه العليلة أو الكبيرة عنده فتتحول الكنة إلى خصم لدود، فزمان الشباب ولى وزمان القوة أقل وجاء زمن الضعف والاستكانة فتتغطرس زوجة الابن على أم زوجها لتتسلط عليها بالظلم والمعاملة السيئة التي كانت تعاملها بها وفي النهاية تبقى أم زوجها، هنا يحول الخطاب إلى زوجة الابن ترحم هذه العجوز وأنها كانت ظالمة لها لأنها إنسان ضعيف ومريض يحتاج إلى الرعاية والعناية والمسامحة لأن الفكر الجمعي والوعي المجتمعي شكل لها أفكارا خاطئة وأشربها إيمانا فأصبحت تتعامل معها بعبودية ودون نقاش.

فهذا المثل موجه لزوجة الابن لمراعاة حال تلك المرأة الطاغية في السن والمريضة والتي تحتاج من المراعاة والرعاية وأهم شيء تحتاجه هو التفهم والتسامح.

د. قدها قد الفولة وفعايلها فعايل الغولة

هذا المثل تتناوله العجوز القالمية لمعايرة كنتها في ظل حالة التوتر والمخاصمة التي تجمع بينهما، وهذا المثل يطلقه المجتمع القالمي على المرأة ذات الحجم الضئيل والقامة القصيرة، مع امتلاء الجسم. فتصبح شبيهة بجبة (الفول). فالحماة تطلقه على زوجة ابنها خاصة، وإن كان هذا المثل ينطبق عليها أيضا إن كانت ذات أفعال شريرة أو مرفوضة ومنبوذة في المجتمع، فحجم هذه الأفعال لا تتناسب مع حجم هذه المرأة. و "فعايل الغولة " يقصد بها الأفعال الشريرة والقاسية، أما الغولة فهي شخصية شعبية شريرة وآكلة للحوم البشر، تشخص بحجم كبير وأنياب طويلة وأظافر حادة، وشعر كثيف، وعيون لماعة ومخيفة. وقد اتخذتها الجدات قديما لإخافة الأطفال الصغار لدعوتهم للنوم أو إلزامهم حدود البيت اتقاء للمخاطر المحدقة بهم. ومعنى المثل يكمن في المفارقة بين صغر حجم المرأة وعظمة سوء أفعالها.

ثانيا = الأمثال المعبرة عن العلاقات الإنسانية

1 – التعاون

هي صفة إنسانية أمرنا بها الله عز وجل ورسوله، وينبغي علينا التحلي بها، فقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم "الله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه"، وقد وردت العديد من الأمثال القالمية تعزز صفة التعاون بين أفراد المجتمع، منها:

أ – "لمعينة تغلب السبع"

فالتعاون صفة مغروسة في المجتمع القالمي. وهذا المثل دليل على ذلك، فهو يحتوي على لفظة مفتاحية تتمثل في لفظة "المعينة"، وهي كناية عن أهمية التعاون في حياة الناس، فبالتعاون يتحقق المطلوب ويمكننا فعل المستحيل والتغلب على جميع الصعاب. ويعرف "السبع" على أنه ملك الغابة يتميز بمجموعة من الصفات منها شجاعة والشراسة؛ لكن كل هذا يسقط أمام التعاون. وقد أوصانا الله عز وجل ورسوله الكريم بالتعاون على البرّ والتقوى، وتمثّل مجتمع الصحابة هذه القيمة الاجتماعية في أيامهم، وخير دليل على ذلك تعاون المسلمين على بناء أول مسجد في الإسلام؛ حيث نجد كل من بلال وعمار بن ياسر وحتى النبي صلى الله عليه وسلم ساعدهم في البناء. وكل ذلك تجسيدا لقوله تعالى: "وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ"[1].

ب – اليد الوحدة ما تصفق

وهو مثل يحمل هذه الصفة الحميدة والمتمثلة في التعاون والتآزر، فالتصفيق لا يكون إلاّ بكلتا اليدين والإنسان بطبعه خُلق ضعيفا.

كما أنه لا يمكننا فعل شيء دون اليدين، والتصفيق هنا رمز للتعاون، وكذلك الإنسان لا يمكنه فعل شيء دون أخيه الإنسان، فهو اجتماعي بطبعه يؤثر ويتأثر بغيره، فالتعاون مزروع في

[1] سورة المائدة، الآية02.

المجتمع الجزائري عامة والقالمي بصفة خاصة؛ حيث تنتمي منطقة قالمة للولايات الشرقية التي تشتهر بطبق الكسكسي والشخشوخة وهذين الطبقين لا يمكن تحضيرهما دون تعاون، حيث تجتمع النسوة على ما يعرف بالتويزة على تحضير كليهما في قصعة، ويبدأن بالغناء وتبادل أطراف الحديث والرقص، في الأخير يجدن أنفسهن قد حضرن القناطير من الكسكسي والشخشوخة.

ج – كي يتعاون الخو مع خوه يولي الجبل ذهب

فهذا المثل تركه لنا آباؤنا وأجدادنا كحكمة نسترشد بها، فالتعاون ضروري في جميع مناحي الحياة؛ لأن في الاتحاد قوة كما يقال، والإنسان في حاجة للآخرين دائما من ولادته حتى مماته، فعند ولادته تحتاج المرأة الحامل لمن يساعدها وعند وفاته يتعاون الناس في تحضير جنازته حتى يذهب إلى مثواه الأخير.

وعند الذهاب للحياة الاجتماعية نلمس تعاون أفراد المجتمع فيما بينهم سواء عن قصد أو عن غير قصد، فنجد منهم النجار والحداد والخضار والطبيب والمعلم، كلهم خدم لبعضهم وإن لم يشعروا، كلهم في حاجة لبعض، وكلهم يكمل بعضهم البعض. والحياة الاجتماعية قد تتوقف إن غاب واحد منهم فكلهم يتعاون في تكوين الحياة الاجتماعية.

د – لمعاونة مع النصارى ولا لقعاد خسارة

مثل قالمي آخر يدعو إلى التعاون، وهو مثل شعبي على درجة من الأهمية في حياتنا اليومية، فبفضله يستطيع المجتمع أن يصل لأعلى المراتب والرقي والازدهار ويحافظ على العلاقات بين أفراد المجتمع؛ لأن الإنسان لا يستطيع أن يقوم بأعباء الحياة وحده فهو في حاجة دائمة إلى من يساعده

ويعينه سواء في عمله أو في دينه أو في أموره كلها والله سبحانه وتعالى أول من يستعين به الإنسان فهو القادر على كل شيء، ثم يطلب الإعانة من الاخر مهما كانت ديانته أو عقيدته، وهذا يدل على تشبث المجتمع بهذه القيمة الاجتماعية والاقتصادية من أجل التقدم والرفاه، كما ينم على تقبل المجتمع للآخر إذا كان شريكا في العمل بغض النظر عن انتمائه، فالتعاون قيمة تعلو فوق الانتماء.

2 – الجيرة

من الجار وهو الذي يلاصق أو يقرب سكنه من سكنك وقد حدد العلماء الجيرة إلى مدى أربعين دارا من كل الجهات، ومن كان في هذه الحالة فله من الحقوق، وعليه من الواجبات ما يجعل الجوار نعمة وأمنا. وقد وردت العديد من الأمثال التي وظفت الجيرة منها:

أ –الجار قبل الدار

من العلاقات المهمة التي يتميز بها المجتمع القالمي هو حسن الجوار، فالجار هو الذي يجمعنا معه المكان والحاجة والمعاملة؛ لذلك تعد هذه العلاقة من أهم العلاقات في حياة الجماعة، فالجار يعرف الكثير والأسرار والسلوكات عن جيرانه، والإسلام اهتم كثيرا بهذه العلاقة، وأمر بالحفاظ عليها، وجعل لها منزلة عظيمة، وأمرنا بحسن التعامل مع الجار وعدم إيذائه. وقصة النبي صلى الله عليه وسلم مع جاره اليهودي خير دليل، فقد كان جاره اليهودي يرمي القمامة أمام بيت الرسول (ص)، وعندما غاب سأل عنه النبي صلى الله عليه وسلم، وذهب لزيارته، وهذا دليل على الرحمة والعطف والاهتمام، كيف لا وهو الذي بعثه الله رحمة للعالمين، حتى لغير المؤمنين. كما أنّ هجرة الرسول إلى المدينة تعدّ خير دليل على تجذر هذي الخصلة في شخصه الكريم والتي غرسها في

المسلمين، حيث لم يرض على أن يمس أحد من أهل الكتاب أو غيرهم، حيث قال الرسول صلى الله عليه وسلم عن حسن الجيرة "ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه".

ويتجلى التحليل الانثروبولوجي لهذا المثل في كونه يتألف من لفظة الجار وهو اللصيق والقريب الينا مسافة والذي يقرب سكنه من مسكننا ومن لفظة الدار وهو المأوى الذي يأوي الإنسان. وهو مثل من أكثر الأمثال القالمية تداولا بحكم المجتمع القالمي مجتمع مسلم والدين الحنيف أوصانا بالجار.

والجار قبل الدار هي مقولة مشهورة وشائعة بين الناس، حكمة آمن وعمل بها الأباء والأجداد منذ مئات السنين، فكانت الرافد الأساسي للعلاقات الاجتماعية، فالجار هو المساند والمساعد والأخ والصديق الناصح، فمن منا لم يوص جاره عن منزله إذا سافر كي يحرصه، ومن منا لم يترك مفاتيح البيت لجاره؛ حيث كانت النساء الجزائريات في الماضي يحيين قعدات زمان مع الجارات التي تتخللها المحبة والثقة، ففي قالمة مثلا كان الجيران كعائلة واحدة يتبادلون الأطباق ويغسلون الملابس معا في وسط البيت الذي يحتوي على فناء واحد مشترك، وأسطح تحكى فيها الأسرار وتسرد بها الحكايات في جلسات حميمية مع البوقالات حول صينية الشاي، حيث وجدت المرأة في جارتها الأخت التي تساندها في الأفراح والأحزان.

ب – الجار وصى عليه النبي

يحمل هذا المثل دلالة على أهمية الجار في بعدها الديني، فالمجتمع له وازع ديني يسترشد به، فمن خلال هذا نفهم بأن الجار في مجتمع له مكانة هامة، وفي الإسلام بصفة خاصة، قال النبي

صلى الله عليه وسلم «من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فلا يؤذ جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الاخر، فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الاخر، فليقل خيرا أو ليصمت».

فالإحسان إلى الجار من الأخلاق الرفيعة التي يجب أن يتحلى بها المسلم، فالجار يكون الأقرب من الأهل في بعض الأحيان، خاصة عندما تصيبنا مصيبة أو فرح نجد الجار هو الأول الذي يسارع في المجيء، والمساعدة قبل وصول الأهل والأحباب.

ج – دير كيما يدير جارك والا حوّل باب دارك

وقد ورد هذا المثل براوية أخرى، وهي "اعمل كيما يعمل جارك والاّ حول باب دارك" . فهذا المثل غالبا على لسان النساء اللواتي تقلن لأزواجهن جارنا فعل كذا، جارنا اشترى لزوجته كذا، ثم تطلب منه أن يعاملها بالمثل، فالإنسان يجب عليه أن يحفظ جاره ويصونه وأن يحمي عرضه وشرفه، لكن في وقتنا الحالي أصبح الواقع الذي نعيشه واقع مليء بالبغض والحقد، وتحول الجار إلى عدو، ولم يعد الإنسان يأمن على نفسه، وعلى سمعته، ولا على ماله وعلى حقوقه؛ لأن الناس أصبحوا للأسف أكثر مادية على حساب الإيمان.

3 – الصداقة

هي ذلك الخلق العظيم الذي حثت عليه الشريعة الإسلامية ودعت المسلمين إلى التحلي بها. وقد ورد مفهوم الصداقة بمعنى الصحبة والجليس الصالح وفيها أحاديث نبوية منها قوله (ص): «لا تصاحب إلا مؤمنا، ولا يأكل طعامك إلا تقي»، ومن بين الأمثال التي وظفت الصداقة نذكر بعضها:

أ – لي خالط البرمة يتطلى بحمومها وليى خالط الصابون جنى تقاه

وهو من الأكثر الأمثال تداولا بين فئات المجتمع القالمي الذي يعرف بالأخوة والصداقة كما هو معروف عنه في سيرته.

وبما أن الانسان كائن اجتماعي يتأثر بغيره فالمراهق مثلا سواء كان ذكر أو أنثى يتبع صديقه في كل شيء في التصرفات، والملبس، وكل شيء، خاصة إذا كان الصديق سيئا، فهنا تصبح مشكلة إن لم تتحول إلى كارثة قبل فوات الأوان، فالمراهقون هم الأكثر عرضة إلى الانحراف والوقوع في الآفات الاجتماعية. لذلك يجب على الأولياء أن يراقبوا أبناءهم ويسألون عن أصدقائهم حتى نسلم من فساد المجتمع ونحمي شبابنا.

ب – خوذ الراي لي يبكيك وما تخذيش الراي لي يضحكك

يتكون هذا المثل من معنى مفتاحي وهو (البكاء)، الذي هو من علامات الحزن والألم والحسرة، ومن معنى آخر وهو (الضحك) الذي يؤشر على السعادة والفرح. وهو من الأمثال القالمية الأكثر تداولا، والمقصود به أن على الإنسان أن يتبع الرأي الناصح له، فالصديق الحقيقي هو الذي ينصح صديقه، وأن يكون أمينا لأسراره وأن يقف إلى جانب صديقه في المسرات فالإنسان قد نشأ في البدء رضيعا وهذا الرضيع، يكبر ويكبر ليصل سنه إلى 6 سنوات فما فوق عندما يوبخه أهله يبكي ويغضب، فهما بذلك يريدان مصلحته وكذلك مثلا المعلم الذي يوبخ تلميذ ما على دراسته فهنا يريد مصلحته ويريد به أن يصبح مصباحا ينير به المجتمع، فعلى الإنسان أن يحسن اختيار

أصدقائه، بل عليه انتقاؤهم، فالصديق الحقيقي هو الذي ينصحك ويرشد ويمد لك العون أثناء السقوط.

والإسلام بدوره اهتم بهذه العلاقة ورغب فيها قال الله تعالى (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليكم خبير).

ج – خوك من وتاك مش خوك من باباك

يحتوي هذا المثل من لفظتين الأخ والذي تربطنا به رابطة الدم الواحد ونشترك معه في الوالدين، ومن لفظة الأب وهو الشخص المسؤول عن الأسرة، والقائم بأمورها بكل أفرادها، كالأم والأطفال فهو يتحلى بمكانة عظيمة، ورفيعة في الشريعة الإسلامية، فقد كلف بالعديد من الواجبات، والمسؤوليات التي سيسأل عنها يوم القيامة.

خوك من وتاك مش خوك من باباك وهو من أشهر الأمثال القالمية فالمثل يشير إلى حقيقة لابد من ذكرها وهي أن كثير من الأصدقاء نجدهم فعلا في وقت الحاجة إليهم فقد يضحون بأشياء عزيزة عليهم من أجل صديق عكس الأخ الذي قد يتخلى عنك وقت الحاجة اليه، فمثلا عند زواج الإخوة وخصوصا إذا تشاركا في البيت فقد تنشب بينهم مشاكل بسبب النساء أو بسبب الأطفال فالأطفال قد يتشاجرا معا والنساء يتشاجرن عادة بسبب شغل البيت وبالتالي يتعادى الإخوة ويفترقا.

عكس الصديق الذي تجده في أوقات الحسرة والضيق يقف معك ويساندك حتى مرور الأزمة.

4 – إذا حبيبك عسل ما تلحسوش كل

يحتوي هذا المثل على لفظة الحبيب والقريب من القلب، والمحبوب بكل الجوارح الذي تكون محبته بعيدة عن المصالح الشخصية، وهذا مثل شهير جدا في أوساط منطقة قالمة، وهو يؤكد على أهمية أن تكون العلاقات الاجتماعية بين أفراد المجتمع بعيدة كل البعد عن المصالح والأهداف الضيقة، بعيدة عن الانتهازية والشخصانية، تحت تسمية العسل. والأجدر بالصديق أن يحافظ على صديقه، وألاَّ يستغل الصداقة في تحقيق أهدافه الشخصية على حساب المصلحة العامة.

ثالثا = الأمثال المعبرة عن العمل

حث الله سبحانه وتعالى على العمل وذلك في آيات عدة لأهميته، وعدّه عباده لذلك قال عز وجل: (هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور)[1].

فإعمار الأرض أمانة سلمها الله تعالى للإنسان وسار على نهجها الأنبياء والرسل، وفي العمل صلاح للفرد والمجتمع. فيعمل بدوره على ألاَّ يقع الإنسان في المعاصي، وينقذ روحه من الوقوع في الحزن والكسل. ونجاح المرء في عمله يكسبه رزقا حلالا، ويمنحه تقديرا في نفسه وتقديرا في عيون الآخرين.

ولأن العمل مقدس في حياة المرء فسكان قالمة اعتبروه ملجأ قوتهم ومكسبهم حتى وإن كان هذا العمل بسيط ويجني منه القليل فقد قيل في العمل

أمثال كثيرة تحث عليه وسندرس منها بعضها لندرك قيمته عند سكان الولاية.

1 – سورة الملك، الآية 15.

أ – اخدم يا صغري على كبري واخدم يا كبري على قبري:

مثل يترجم الحكمة والخبرة التي يكتسبها أفراد المجتمع القالمي من سنوات طويلة، مضمونه أن الإنسان يعمل في السنوات الأولى من عمره خدمة لأهله حيث يكون صغير العمر قوي الجسم والبنية قادر على المشاق مهما كان العمل صعبا، وذلك ليجمع المال كي يضمن الراحة والرفاهية في كبره، فبماله يلقى الاهتمام والبر والحنان من أهله وذريته؛ ولما يكبر يبدأ تدريجيا بالتخلي عن زينة الحياة الدنيا من مال وبنين؛ لأنه آنذاك يشتعل الرأس بالشيب، ويحس بضعف جسده وقلة عمله ونشاطه، كما يلاحظ قرب أجله، وأنه لم يتبقى من عمره إلا القليل، فيتجه إلى ربه راغبا مستغفرا تائبا، فتكثر أعماله الموجهة لله سبحانه وتعالى من صلاة، وصوم، وحج، وصلة الأرحام. وبهذا يضمن حسن المقام في قبره.

ب – لي ما يشقى ما يلقى

يسمع كثيرا هذا المثل ويتكرر في المجتمع القالمي الذي يحمل معاني شعبية عميقة وخالدة ارتبطت وظيفتها الاجتماعية والثقافية بالحياة، فكان العمل (الحركة، العمل، الشقاء، التعب، العرق)، هو الحياة، الرزق، الصحة، الشرف، وأن الدعوة إلى العمل والحفاظ على قداسة فضائه هي في نفس الوقت حفاظ الإنسان على إنسانيته ووجوديته الشاملة المادية والمعنوية، فإنّ العمل مهما كان أجره قليلا فهو أحسن وأجدر وسيلة تكسب العامل الحياة وصيانة النفس من البطالة وما ينجم عنها من مشاكل وانحرافات اجتماعية وأيضا من ذل السؤال ومهانته.

ج – أخدم باطل وما تقعدش عاطل

من خلال تحليلنا للأمثال الشعبية في منطقة قالمة لاحظنا أن الجماعات الشعبية أنتجت الكثير من الأمثال في مجال العمل بل إنهم يؤكدون من خلال هذه الأمثال على ضرورة العمل وتفطنوا أيضا إلى عواقب البطالة وما يلحقا بالفرد من سلوكات سلبية خطيرة قد تدمر الذات الفردية والاجتماعية كالسطو، السرقة، المرض، الانتحار وغيرها، فهذه الأمثال تحمل بين طياتها نظرة فلسفية عميقة في بناء المجتمع الذي عرف كيف يصور ببراعة خطورة البطالة من خلال المثل الذي بين أيدينا القائل "أخدم باطل وما تقعدش عاطل " يدعوا إلى العمل بدون مقابل وهذه دلالة تؤكد على أهمية العمل لأن الحكمة عند المجتمع القالمي هو أن الإنسان يجب أن يعتمد على نفسه في جلب الرزق ولا يشجع على الكسل الذي يراه مذلة للفرد كما أن في هذا المثل دلالة على عزة نفس الفرد القالمي الذي يعتبر العمل بركة بغض النظر عن الأجر المادي لأن الإنسان إذا انقطع عن النشاط أصابه الخمول ويخرج عن المنظومة الاجتماعية التي سنها الانسان العامل.

د – " أخدم تربح "

حثت الأمثال الشعبية القالمية على العمل أو ما يعرف بالخدمة أو الشغل. فنجدها قد دعت إليه وجسدته في أمثال تداولتها أجيال بعد أجيال. فالمثل القائل "أخدم تربح" مثل قديم عند القالميين فيه حكمة وعبرة فقد ربط المثل العمل بالربح فالعمل (الخدمة) بصورة عامة هو كل جهد أو نشاط مادي أو معنوي، عضلي أو فكري يبذله الإنسان من أجل تحقيق رغبة ما ولسد حاجة معينة مرتبطة بحياته، فالله عز وجل اعتبر العمل عبادة وفيه أجر وثواب عظيم لقوله تعالى: (وقل اعملوا فسيرى

الله عملكم ورسوله والمؤمنون)([1])، غير أن الخدمة كما يطلق عليها المجتمع القالمي تعلم الإنسان المسؤولية لقوله صلى الله عليه وسلم "كلكم راعي وكلكم مسؤول عن رعيته" وأما عن كلمة "تربح" هي كلمة يقصد بها ترزق، تبارك، تحصد، فكلما زاد الإنتاج المادي زادت المنفعة له ولأسرته ومجتمعه وبالتالي يكون كسب ورزق وربح له في الدنيا والاخرة.

ويحرص سكان قالمة على العمل حرصا شديدا لأنه يرى فيه استمرارية في الحياة أي أن البداية الأزلية للإنسان كان أساسها العمل وبه وحده يقتحم الإنسان هذا الفضاء الدنيوي لأنه مصدر رزق الفرد الجزائري عامة والقالمي خاصة الذي يرى العمل على أنه هو الجاه والشرف وبالعمل يصون كرامته وشرفه وحياته ويصون نفسه من الإهانة والذل والسرقة والفقر.

رابعا = الأمثال المعبرة عن الحياة الفلاحية

1 – الحرث بلا رواكي الزواج بلا رضا

يتكون هذا المثل من لفظتين الحرث فهو عملية زراعية واحدة أو أكثر تهدف الى اعداد التربية الزراعية عن طريق تحريكها ميكانيكيا، ولفظة الزواج وهي العلاقة التي يجتمع فيها رجل يدعى (الزوج) وامرأة تدعى (الزوجة) لبناء عائلة، ويشترك اللفظتين في وجود الشرط حتى يقام فالحرث يشترط الماء والزواج يشترط الرضا. فالأرض بحاجة دائما إلى من يرويها، لتستعيد خصوصيتها، لذا نجد الفلاح يستشير خيرا عند سقوط الأمطار متفائلا بعام مثمر وخصب ليكون الإنتاج وفيرا وبالموازنة مع الزواج الذي يتطلب الرضا من الطرفين لتحقيق الحياة الهنيئة والمثمرة.

1 – سورة التوبة، الآية 105.

وباعتبار أن الأرض لمن يخدمها فهي تحقق للفلاح ذاته، واستقراره المادي والمعنوي، لما توفره من راحة وخير كبير، يكون عاملا مساعدا للفلاح على العمل والجد.

أما فيما يخص المحصول فمن عادات الفلاحين أنهم يبيعونه ويستفيدون منه ويحافظون عليه، ويدخرونه للزمن خوفا مما سيأتي، فقد تصادف الفلاح أعواما لا يجني فيها محصولا كثيرا.

2 – عام يكثر التين يكثر اللين

تتميز ولاية قالمة أنها منطقة خضراء تتميز بالعديد من الثروات الزراعية كالقمح والبرتقال وغيرها والتين هو غذاء الماشية فبكثرته يعود النفع والفائدة على الماشية، مما يؤدي إلى كثرتها وكثرة ما يقدمه الإنسان من فائدة، وبالتالي فهي علاقة أخذ وعطاء بين الأرض والإنسان وكذلك الحيوان، فيقدر ما يخدم الإنسان الأرض ويعتني بها، بقدر ما تعطيه من إنتاج وخير. ومن المعروف لدينا وخاصة في الأرياف، يعند الفلاح إلى ادخار بعض المحاصيل والغلة لوقت الحاجة.

3 – الحرث بالدوام، وصبر بالعوام

يشير هذا المثل القالمي إلى أن الحرث يكون بالتكرار والممارسة، حتى يتحقق الإنتاج ويعم الخير الوفير حتى وإن طال بنا الزمن في انتظار نتيجة المحصول، فيجب علينا الصبر عند غياب الإنتاج في موسم ما، ونستبشر خيرا في العام المقبل، لأن الحرث بالدوام يؤدي إلى تحقيق المنفعة والإنتاج.

والأرض بحاجة دائما إلى من يرويها، لتستعيد خصوصيتها، لذا تجد الفلاح يستبشر خيرا عند سقوط المطر متفائلا بعام مثمر.

4 –الصيف يجري ويلم

يحتوي هذا المثل على لفظة مفتاحية تمثلت في كلمة الصيف وهو واحد من فصول السنة الأربعة ففي هذا الفصل يكون النهار أكثر طولا من الليل وتتضح المحاصيل الزراعية ويحين وقت الحصاد.

يشير هذا المثل أي أن في فصل الصيف ينضج الثمار، ويحين وقت الحصاد وجمع المحصود، مما يؤدي بالفلاح إلى تكثيف الجهد والعمل ولحصد ما زرعه وجني المحاصيل، وكذلك تتميز هذه الأخيرة في هذا الفصل بجودتها وبالتالي يعم الخير على كافة الكائنات الحية.

الخاتمة

خاتمة

إن التعرّض لهذه الدراسة التي تحدثنا فيها عن الأمثال الشعبية دراسة أنثروبولوجية (منطقة قالمة أنموذجا) أنها دراسة تحتاج إلى جهد كبير لكونها تتعاطى مع موروث يتداول عادة عن طريق الروايات الشفوية، وما يستلزم العناية والفحص وهذا للوصول إلى الدراسة والتحليل ومن ثم استخلاص النتائج التي كانت استنتاجات حول الموضوع فكانت النتائج متمثلة فيما يلي:

1 – أن الأمثال الشعبية تصور حياة الناس خير تصوير وتحمل همومه ومخاوفه وواقعه في جميع النواحي الاجتماعية والنفسية والمعيشية والدينية والاقتصادية والفلاحية والعلمية والقومية والإنسانية لذلك فالناس بحاجته ماسة إلى الأمثال الشعبية ولا يمكن تجاهلها في كل مكان سواء في القطر الجزائري أو خارجه.

2 – لا نستطيع الاستغناء عن الأمثال الشعبية لأنها تعيش فينا، كما لا يمكنها الاستغناء عنا لأنها تعيش بنا.

3 – الأمثال بمثابة وعاء رحب، اتسع ليحوي جميع صور الحياة والبيئة في الجزائر ونقلها بصدق وأمانة وأصالة وإبداع.

4 – الأمثال الشعبية جرس موسيقى عذب سهل عملية حفظه فتداولوه ومنحوا له الخلود.

5 – أن بعض الأمثال تحمل أكثر من معنى في مضمونها ويمكن وضعها في أكثر من موضع .

6 – بروز البعد الديني في الأمثال الشعبية مما يؤكد حضور الدين في التراث الشعبي والمجتمع الجزائري، وتعلق الإنسان القالمي بتعاليم الدين التي نشأ وتربى عليها.

إذا كانت النتائج بهذا القدر فإن الموضوع في حاجة إلى مزيد من الدراسة والتحليل والتفسير، فقد آن الأوان بنا لنزع الغبار من هذا التراث الأدبي، لنعطيه المكانة التي يستحقها، ونسارع في جمعه لمن هم بانتظارنا لنحمل عنهم المشعل ونقله إلى الأجيال القادمة.

قائمة

المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

أولا: المصادر

الامثال الشعبية.

ثانيا المراجع:

1. أحمد مرسي، دراسات أنتروبولوجية، دار المعارف القاهرة.
2. إدريس قرقورة، التراث في المسرح الجزائري، دراسة في الأشكال والمضامين، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، ج1، ط1، الجزائر، 2009.
3. جمال محمد النواصرة، المسرح العربي بين مناهج التراث والقضايا المعاصرة، دار الخامد للنشر والتوزيع، ط1، عمان الاردن، 2014.
4. سعيدي محمد، الادب الشعبي بين النظرية والتطبيق، سلسلة دروس جامعية ديوان المطبوعات الجزائرية، 1998.
5. سيد علي اسماعيل، أثر التراث في المسرح المعاصر، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، ط، دار المرجاج، القاهرة، 2007.
6. عيسى الشماس، مدخل إلى علم الانسان الأنتروبولوجيا.
7. نبيلة ابراهيم، اشكال التعبير في الادب الشعبي، دار النهضة للطباعة والنشر، القاهرة، 1981.
8. بريتشارد ، الأنتروبولوجيا الاجتماعية ترجمة أحمد: أبو زيد الهيئة المصرية العامة للكتاب الإسكندرية، الطبعة الخامسة، 1975.

9. دراسة أنتروبولوجية المفهوم والتاريخ ترجمة كاظم سعد الدين.

المعاجم والقواميس:

1. مصطلحات الأنتروبولوجيا والفلكلور (ترجمة محمد الجوهري وحسن الشامي) دار المعارف لمصر، للطبعة الثانية، 1973.

2. ابن منظور، لسان العرف، دار صادر

3. مختار الصحاح

الكتب الأجنبية:

2. **Archives Départementales de Constantine.natices concernant les communes du département de Constantin,1927.**

المواقع الالكترونية:

1. موقع عين الإخباريةhttp://al-ain.com

3. وردة زرقين، الأمثال ثقافة شعب وخلاصة تجارب مجتمع عبر الازمنة، يومية الشعب الجزائرية، .httl://www.ech-choop.com

4. D.P.A.T de Guelma, Monographie de la wilaya de guelma p19.

الملحق

- اللي ما عندو أمو يحط حجرة في فمو
- قلب البرمة على فمها تخرج الطفلة لأمها
- كل خنفوس عند أمو غزال
- زواج ليلة تدبيرتو عام
- ما يعرس إلا ما يتهرس
- لخير مرا والشر مرا
- الزواج ستر وغطا
- الكنة كنة لو كانت في الجنة.
- إذا تفاهمت العجوز والكنة يدخل إبليس للجنة
- تكبري يا الكنة وتولي عزوز
- قدها قد الفولة وفعايلها فعايل الغولة
- لمعينة تغلب السبع
- اليد الوحدة ما تصفق
- كي يتعاون الخو مع خوه يولي الجبل ذهب
- لمعاونة مع النصارى ولا لقعاد خسارة
- الجار قبل الدار

- الجار وصى عليه النبي
- دير كيما يدير جارك والا حوّل باب دارك
- لي خالط البرمة يتطلى بحمومها وليى خالط الصابون جنى تقاه
- خوذ الراي لي يبكيك وما تخذيش الراي لي يضحكك
- خوك من وتاك مش خوك من باباك
- إذا حبيبك عسل ما تلحسوش كل
- اخدم يا صغري على كبري واخدم يا كبري على قبري:
- لي ما يشقى ما يلقى
- أخدم باطل وما تقعدش عاطل
- أخدم تربح
- الحرث بلا روا كي الزواج بلا رضا
- عام يكثر التين يكثر اللين
- الحرث بالدوام، وصبر بالعوام
- الصيف يجري ويلم

خريطة ولاية قالمة

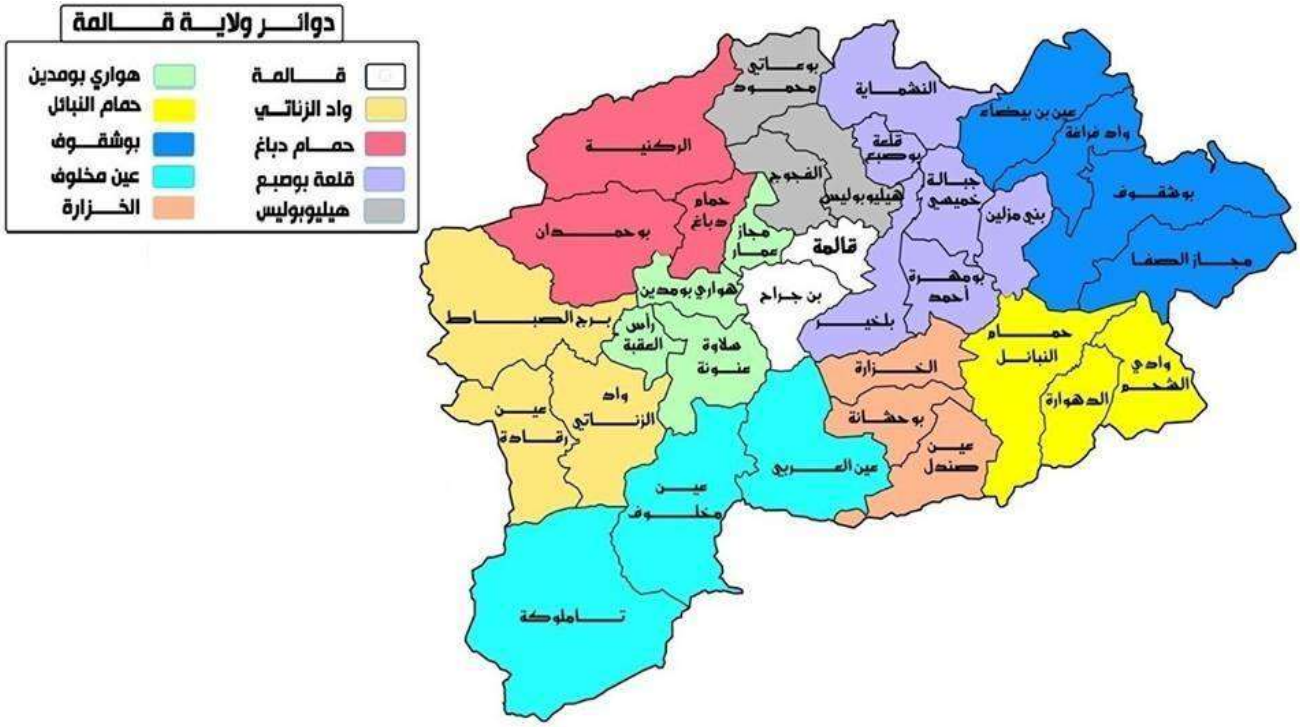

فهرس الموضوعات

الملخص

فهرس المحتويات	الصفحة
مقدمة	أ – د
مدخل : التراث والأدب الشعبي	5
أولا – التراث الشعبي صورة للسلوك الإنساني	5
ثانيا – القيمة الاجتماعية للأدب الشعبي	6
ثالثا – منطقة قالمة – التاريخ والحضارة	
1 – أصل التسمية	8
2 – قالمة جغرافيا وتاريخيا	9
3 – البنية الاجتماعية لمنطقة قالمة	10
الفصل الأول: المثل والأنثروبولوجيا	
أولا: التعريف بالمثل	
1 – المعنى اللغوي	14
2 – المفهوم الاصطلاحي	14
ثانيا: الأنثروبولوجيا	
1 – تعريف علم الأنثروبولوجيا	15
2 – تاريخ ونشأة وظهور علم الانثروبولوجيا	17
3–رواد علم الانثروبولوجيا	19
4 – العلوم المتعلقة بالأنتروبولوجيا	20

الملخص

5 – المنهج الأنتروبولوجي	22
6–الالية والاجراء	29
الفصل الثاني: الأمثال الشعبية القالمية أنثروبولوجيا	
أولا: الأمثال المعبرة عن الحياة الأسرية	33
1 – أمثال عن الوالدين	33
2 – الزواج	36
3 – علاقة الحماة بالكنة	39
ثانيا = العلاقات الإنسانية	44
1 – التعاون	44
2 – الجيرة	47
3 – الصداقة	49
ثالثا – الأمثال المعبرة عن العمل	52
رابعا – الأمثال المعبرة الحياة الفلاحية	55
خاتمة	59
قائمة المصادر والمراجع	62
فهرس المحتويات	
الملخص	

الملخص

الملخص بالعربية

يهدف هذا البحث إلى دراسة الأمثال الشعبية في ولاية قالمة أنثروبولوجيا وتحليلها ومحاولة تفسيرها وفق رؤية المجتمع القالمي.

إذ حاولنا البحث عن مجموعة من الأمثال الشعبية المتنوعة في عدة مجالات وذلك من خلال دراسة أنثروبولوجية لهذه الأمثال.

وقد قسمنا بحثنا إلى فصلين نظري متكون من مفهوم المثل والأنثروبولوجيا ومختلف العلوم المتعلقة بها والاليات التي تقوم عليها أما الفصل الثاني التطبيقي تضمن دراسة للأمثال الشعبية القالمية.

Sommaire

Cette recherche vise à étudier les proverbes populaires dans l'état de l'anthropologie de Guelma, les analyser et tenter de les interpréter selon la vision de la communauté Guelmi.

Nous avons essayé de rechercher un groupe de proverbes folkloriques divers dans plusieurs domaines, à travers une étude anthropologique de ces proverbes.

Nous avons divisé notre recherche en deux chapitres théoriques constitués du concept de proverbes, de l'anthropologie et des différentes sciences qui s'y rapportent et des mécanismes sur lesquels ils reposent.